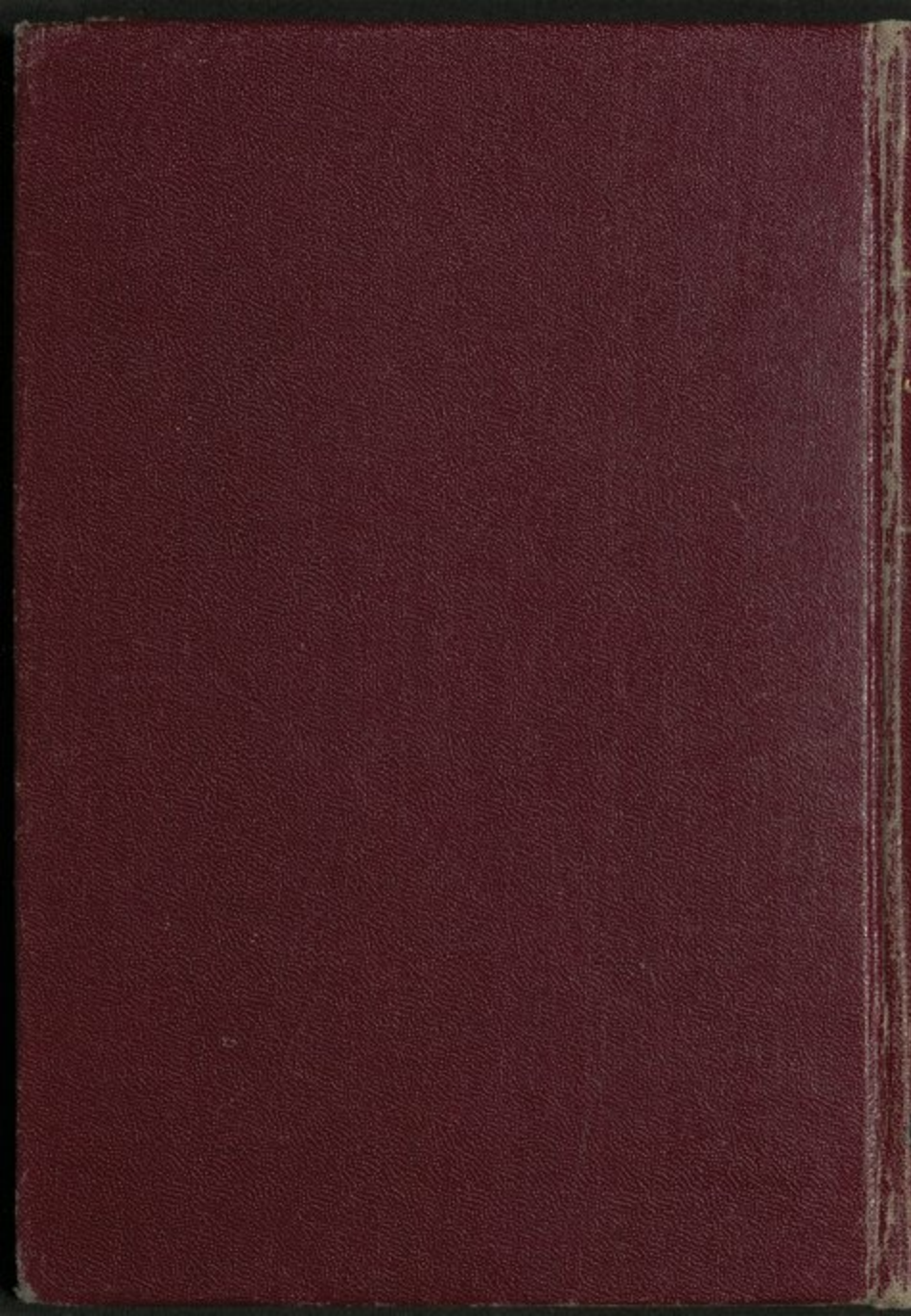




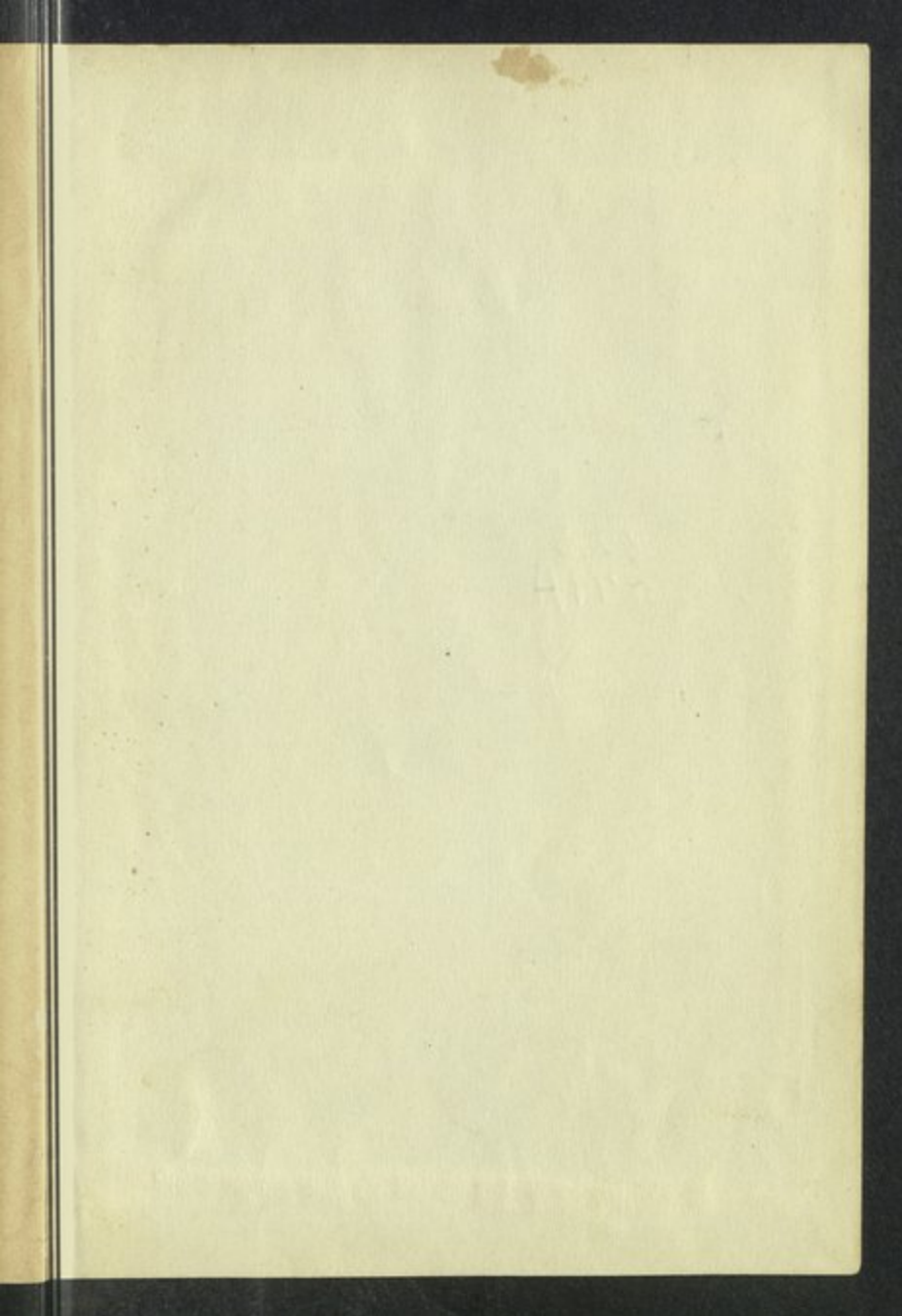
823:079A

أورويل ٤ جون .

823

079A





823
079aA

اسطورة الحيوانات الشائنة

بقلم
الأستاذ عباس بك حافظ

ترجمة قصة
"ANIMAL FARM"

للمؤلف
George Orwell

قامت بنشرها دار المعارف بمصر





« الحلوف الاكبر يلقي خطابه » ص ١١



« المعركة في ذروتها » ص ٦٠

كلمة الناقل

رأينا في الأدب القديم كتاباً وفلاسفة يختارون حشد أفكارهم ومذاهبهم وحكمتهم على صورة نوادر ، أو حكايات ، أو في رموز وإشارات ، يسوقونها على ألسنة الطير والبهايم والأنعام ، لتدخل ألفت المداخل على النفوس ، وتستحوذ بغرابتها على الألباب ، سواء أخذها العامة على ظواهرها ، وفتنوا بالرموز منها دون الجوهر واللباب ، أو أدرك الخاصة منها المرامي ، وفطنوا إلى المقاصد والأهداف .

ولعل خرافات « عيسوب » ، وحكايات « لافونتين » ، في مقدمة هذه الكتب الرمزية التي سجلها التاريخ الأدبي للحضارة منذ أقدم العصور .

وجاء كتاب « كليلة ودمنة » والتمهيد البديع الذي سبق في مطلعته على لسان بيديا الفيلسوف ودبشليم الملك ، فكان من التواليف المخدلة التي فتنت الدنيا على كرة الأجيال والسنين . ولا يزال الكتاب على جده ، كأنه كتب ليومه ، حريصاً

على طلاوته ، لا يمل الخاطر قراءته على التكرار ، وكلما عاد إليه وجدته طريفاً لخاطره ، متجدد المتعة لا يمل المرء معاودته ، وإن ظن أنه قد كبر أو تنهى العلم لديه والتحصيل .
وأحسب الناس قد سئمو القصص المنقولة من الآداب الغربية لكثرة ما سبق إليهم منها ، وترادف معانيها في جانب واحد من الحياة ، أو تكرار مآسى الحب وأحداثه ومطاويه ، فلا معدى لهم عن شيء طريف يتفكهون به ، وقصة رمزية تجرى على ألسنة البهائم لتصوير فكرة طارئة أو التمثيل لمبادئ عارضة ، يسمعون عنها ويقرأون ، ما لا يكادون يدركون منه وجه اليقين .

وقد عن لى في هذا الباب أن أنقل هذه « القصة » الرمزية ، في تصوير هذه المبادئ ، ورسم معالمها البارزة في تاريخ « الثورة » التي جاءت بها ، وسير الأحداث التي جرت في البلاد ذاتها التي خرجت منها ، حتى كادت تباعد بين المبدأ والواقع وتتجافى فيها التعاليم والحقائق الراهنة .

وقد توانى لصاحب القصة ، وهو جورج أورويل George Orwell ، أن يجعل لكل شخصية في تاريخ هذه الثورة ومعقاتها رمزاً ، ويرسم لكل بطل من أبطالها لوناً ،

فجاءت القصة على نسق الحوادث ، وإن سيق أصحابها مساق
البهائم والأنعام ، حتى ليكاد الذين قرأوا التاريخ يلمسون
الأشخاص في رموزهم لمساً ، وإن مضى القارئ الساذج يتنقل
بين أبوابها وهو معجب مفتون بأن يتحدث الخنزير ، ويتكلم
البقر ، ويتصرف الفرس ، ويفعل الحصان .

وكان « جورج أورويل » من خيرة الكتاب البريطانيين
المحدثين خيالاً ، وأخصبهم مادة ، وأبدعهم أسلوباً ، وكانت
وفاته في العام الماضي ، بعد أن ترك طائفة من المؤلفات انتزعت
من الناس الإعجاب انتزاعاً .

ولست أريد أن أستبق القارئ فأشرح له مغزى المؤلف
ومراده ، أو أدله على الشخصيات الحقيقية من خلف رموزها
وشاراتها ، فأفسد عليه اجتهاده ، وأوهن قوة الكاتب وبراعته
واستشهاده ، بل أؤثر أن أضع القصة بين يديه ، ليأخذها
كما هي ، أو يعمل في ثناياها تفكيره ، ويتغلغل من ظاهرها
إلى الحقيقة التي استنتجها المؤلف بعد دراسة ، وكان من قبل
بها مستريباً ، فلم يلبث أن حسر بها القناع عن وجه الحق ،
وانتهى منها إلى إيمان المؤمنين . . .

أقبل المستر جونز تفقيصة الدجاج عندما جن الليل ولكنه من فرط السكر نسي أن يغلق الفتحات فيها ، وانطلق على ضياء مصباحه المتراقص يجتاز فناء البيت ، حتى إذا بلغ الباب الخلفي ، خلع نعليه ، وصب لنفسه الكأس الأخيرة من البيرة في « الدن » القائم في المطبخ ، فشربها ، وذهب إلى الفراش حيث كانت امرأته تغط في النوم .

وما كاد النور ينطفئ في المخدع ، حتى تعالت الحركة في أبنية المزرعة وترامى رفيف أجنحة ، وديب أقدام .

وكان النبأ قد سرى في النهار بين سواثم المزرعة وأنعامها وبهائمها بأن الحلوف الأكبر الذي كان معاشر الحيوانات في الضيعة يدعونه « الميجور » رأى في الليلة الماضية حلمًا غريباً وأحب أن يقصه عليهم ، وتم الاتفاق بينهم على الاجتماع في « الجرن » الكبير بعد أن يأوى المستر جونز إلى فراشه ، ويطمئنوا إلى غرقته في نومه .

وكان للحلوف الأكبر مكانة مرموقة بين معاشر البهائم

في المزرعة فلم يتردد منهم أحد في الحرمان من النوم الثني ساعة أو بعض ساعة لسماع قصته .

وكان « الميجور » في ركن من « الجرن » ، على إفريز مرتفع ، يشبه « المنبر » قد استوى فوق فراش من القش ، تحت مصباح معلق ، وكان في الثانية عشرة من العمر ، وقد بدأ يسمن ويترهل ، وإن ظل جليل السمات ، بادی الوقار ، تلوح عليه أمارات الحكمة والطيبة والخير ، وإن لم ترم يوماً أنياه . وما لبثت الحيوانات الأخرى أن بدأت تتوافى إلى الاجتماع وتتخذ مجالسها منه .

وكان أول القادمين الكلاب الثلاثة في المزرعة ، وهم بلوبل ، وجيمى ، وبنشر ، وتبعهم الخنازير ، فاستقروا فوق القش أمام المنبر مباشرة ، وجاء الدجاج فحططن فوق الأكوام ، وأقبل الحمام فرف على الأكداس ، وبادر الغنم والبقر فجلسوا خلف الخنازير ، وبدأوا يجترون طعامهم كدأبهم .

ووصل الحصان « بوكسر » والفرس « كلوفر » معاً يمشيان على مهل ، ويخففان من ديب حوافرهما الكبيرة محاذرين خيفة أن يكون في جوف القش حيوان دقيق محتبئاً فيدوساه .

وكانت « كلوفر » فرساً ضخمة حنوناً يكاد العمر يتنصف

بها ، وقد ولدت وعشرت أربع مرات ، فترهلت ولم يعاودها شكلها القديم .

وأما « بوكسر » فكان حصاناً يجر العجلة ، مرتفع القامة شديد البأس ، حتى لتبلغ قوته قوة حصانين مجتمعين ، وقد انحدرت على أنفه غرة بيضاء ، فلاح منظره بها غريباً ، يوحى الغباوة ، وينم عن السذاجة والبله ، ولم يكن في الواقع على شيء كثير من الذكاء ، وإن كان محترماً من معاشر البهائم لاستقامة خلقه ، ولين عريكته ، وقوة جلده على العمل .

وجاء بعد الحصان والفرس ، الجدى الأبيض « موريل » والحمار « بنيامين » وكان هذا أقدم حيوان في المزرعة ، وأسوأ البهائم مزاجاً ، فقلما كان يتكلم ، وإذا هو يوماً تحدث ، لم يفتح الله عليه بقول طيب ، وإنما أكثر كلامه النادر استهزاء وسخرية ، فقد كان مثلاً يقول إن الله قد وهبه ذيلًا ليزود الذباب عنه ، ولكنه لن يلبث أن يستريح من الذيل والذباب معاً ، حين ينتهي العمر به ، وكان الحيوان الأوحده الذي لم ير يوماً ضاحكاً ، فإذا سئل لم لا يضحك ، كان جوابه أنه لا يجد شيئاً يستحق أن يضحك منه ، ولكنه كان مخلصاً للحصان « بوكسر » محباً له ، وإن لم يعترف صراحة بما في نفسه له ،

فكانا يقضيان معاً أيام الآحاد في المربط القائم خلف البستان ،
ياكلان الحشائش جنباً إلى جنب ، وهما صامتان لا يتبادلان
قولا .

ولم يكد الحصان والفرس يجثان في مكانهما حتى رفت
« أوزات » صغار فقدن أمهن ، مخافتات بصريخنهن متنقلات
في كل ناحية ليخترن مكاناً لن لا يدوسهن فيه أحد .
وكانت ساق الفرس « كلوفر » بمثابة حاجز يقين فحططن
تحتها وما لبث النوم أن غشين .

وفي اللحظة الأخيرة أقبلت « مولى » الفرس البيضاء الخرقاء
المدللة التي تجر مركبة السيد جونز كلما خرج إلى المدينة ،
وهي تنهادى في مشيتها ، وتخطر مدلة بحسبها ، وتلمظ
بقطعة من السكر في فمها ، وراحت تتخذ مجلساً لها
في المقدمة ، وتنشر معرفتها البيضاء ، على أمل اجتذاب الأنظار
إلى الأشرطة الحمراء التي انعقدت حولها زينة وتطرية . . . !
وكانت القطعة آخر من جاء ، وهي تتلفت حولها كعادتها
لتبحث عن مكان دافئ ، وانثنت بعد البحث تحشر نفسها
بين الفرس والحصان ، وهي تهر راضية فارغة البال ، دون
أن تسمع كلمة واحدة مما يقال .

وكذلك حضر الجمع ، ولم يتخلف غير « موسى » الغراب
 الأسحم الأليف الذي اعتاد أن ينام جاثماً خلف الباب الخلفي .
 وما رأى الحلوف الأكبر أن القوم اطمأنوا في مجالسهم
 وأرهفوا الأسماع ، تنحنح وبدأ الكلام .

Major

قال : « أيها الرفاق ، لقد سمعتم من قبل بالحلم الغريب الذي
 رأيته في منامى الليلة الماضية ، ولكنني أترك حديثه إلى حين ،
 وأبدأ الكلام بما يحول الساعة في صدري ، وما أحسبني أيها
 الرفاق بمقيم معكم أكثر من أشهر معدودات ، وقد رأيتم من
 واجبي قبل الممات ، أن أدلى إليكم بما أوتيت من الحكمة ،
 وأنفض على أسماعكم دروس التجربة وفصل الخطاب ، فقد
 عشت طويلاً وتراخت بي الأيام ، وكنت كثيراً ما أطلق للفكر
 العنان ، وأنا راقد في الفراش ، وأتدبر أمور الدنيا ، وشئون
 الحياة ، حتى ليصبح لمثلي اليوم أن يقول وهو مطمئن إنه
 العليم بها الخبير بتصاريفها ، فلا يبهز في علمها حيوان ، ولا
 تفوقه دابة على الأرض في فهم ما حوت من غرائب وأسرار .
 ودعوني أسألكم يا رفاق ، ما هي حياتنا الدنيا وما شأنها ؟... ؟
 إننا نعيش في بؤس وكد ونصب ، وحياتنا محدودة الآجال ،
 ونحن نولد ، ونخرج إلى الدنيا ، فلا نصيب من الطعام غير

١٧





« تشييع جنازة الكباش الذي استشهد في القتال » ص ٦٤

القدر الذى يمسك الرمح ، ويبقى على الأنفاس ، والذين
 يقدرّون منا على العمل يساقون إليه كرهاً ، ويرغمون عليه
 إرغاماً ، إلى آخر ذرة من قواهم ، ومسكة من بأسهم ، فإذا
 لم نعد للعمل صالحين ، وانقطع نفعا لأربابنا ، سيق بنا إلى
 المذبح فذبحنا بقسوة بالغة ، وجز السكين أعناقنا بوحشية
 نكراء ، فلا يعرف فى هذه الأرض حيوان معنى السعادة والهناءة
 والفراغ ، إذا ما حال الحول الأول عليه فى هذه الحياة .

الحق أقول لكم ، إن حياة الحيوان ، فى هذه الدنيا يؤس
 واستعباد وهوان . . .

ولكنى أسألكم هل هذا هو نظام الأمر فيها وطبيعة
 الأشياء . . . ؟؟

وهل مرجع هذا الشقاء الذى نعانیه إلى قلة الخير فى هذا
 العالم حتى ليضيق عن رغد نعيم به ، وعيش طيب نحياء ؟
 كلا ، أيها الرفاق ، وألف مرة كلا . . . !

إن الدنيا بخير ، والأرض كثر ، والخصب وفير ، وفى
 الأرض متاع حسن لأمثالنا معاشر الحيوان ، وما لى لا
 أحدثكم عن هذه الضيعة ، كمثّل من الأمثال ، إن فيها
 من الخيرات ما يقيم أود اثني عشر حصاناً ، وعشرين بقرة ،

ومئات من الخراف والأغنام ، وبذلل لهم العيش في رغد
لا وجود اليوم له إلا في الخيال ، والظفر من الدنيا بمكانة مرموقة
لا أثر لها الآن ولا جواز لتحقيقها ولا احتمال .

فلماذا لعمركم الله نرضى بهذا العيش الأليم ، ونسكن إلى
هذا البؤس المقيم . . . ؟ ؟

إننا راسفون فيه لأن كل ثمرات عملنا أو جلها مغتصبة
ونهب مقسم بين معاشر الناس .

إن البشر يسرق نتاج كدنا وتعبننا . .

وهذا أيها الرفاق هو علة شقائنا وسبب تعسنا وضنكنا .

إن الشر كله يا رفاق يتلخص في كلمة واحدة . . .

وهي . . . الإنسان !

إنه عدونا الأوحده ، وخصمنا الألد . . .

فأزيلوه من أرضكم ، يسلم لكم خيرها ، وينته جوعكم فيها
وسعيكم ، وتكونوا من بعده قوماً صالحين . . .

إن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يستهلك ولا ينتج ،
فهو لا يدر لبناً ، ولا يضع بيضاً ، ولا يجر محراثاً ، ولا يقدر
على عدو خلف الأرائب إذا أراد صيداً .

ولكنه مع ذلك كله السيد الحاكم في معاشر الحيوان .

فهو الذى يدفعها إلى العمل ، ولا يلقي إليها من الطعام إلا ما
يمسك الرمق ، ويقيم الأود ، ويأخذ الباقي لنفسه ، ويستأثر
بأطاييه ، ونحن الذين نحرق الأرض بعمنا ، ونخصب
التربة بروثنا ، ولكن ليس فينا أحد يملك أكثر من أديمه ،
والجلد الذى يكسو عظامه .

ألا خبرونى ، يا معشر البقر الذين أرى بين جمعنا هذا
وفى مؤتمرننا ، كم عديد الآلاف من الجالونات أدت أخلافكم
وضروعكم لبناً فى العام الماضى ، وأين ذهب ذلك اللبن كله
الذى كان أولى به أن يغذى العجول الصغار ويزيدها قوة
وبأساً . . .

لقد ذهبت كل قطرة منه فى حلق أعدائنا .
وأنتم معشر الدجاج !

كم من البيض فى العام الماضى وضعتن . . . ؟ ؟ وكم منه
فقس أفراخاً ، ونقف فراريج . . . ؟

لقد ذهب الباقي منه إلى السوق ليعود منه المال الوفير للسيد
جوزر ورجاله .

وأنت يا صديقتنا « كلوفر » ، أين المهرات الأربع اللاتي
وضعتن ، وكان أولى بها أن تكون لك فى الشيخوخة سنداً ،

ولعينك قرة ، ولك على متاعب الحياة ظهيراً . . . ؟ ؟
 لقد بيع كل منها في السوق حين أتمت الحول الأول فلن
 تشهدن آخر الحياة . . .

وما الذي نلته لقاء حملهن كرهاً ، ووضعهن كرهاً ، ومقابل
 كدك في الحقل ، وجدك في الغيط ، إلا التزر من القوت ،
 والمذود الذي تربطين إليه عند النوم . . . ؟ ؟

يا معشر الحيوان . . .

إن حياتنا الشقية ذاتها قلما تترك حتى تصل إلى مداها
 الطبيعي ، وتبلغ أجلها المعهود ، وإن كنت من جهتي لا أشكو ،
 لأنني أحد الذين أسعدهم الحظ فأفلتوا من سكين القصاب ،
 ولكني سلخت إلى اليوم إثني عشر عاماً في هذه الدنيا ،
 وأخرجت إليها أربعائة ولد ، بين إناث وبنين ، وتلك حياة
 كل خنزير إذا ترك على طبعه ، وخلي بينه وبين سليقته ،
 ولكن ليس فيكم أحد في النهاية من الذبح ناجياً .

فيامعشر الخلايف الصغار الذين تجلسون قبالي ،
 لن يحول الحول عليكم حتى تنصبوا على النطع فتذبحوا تذبيحاً
 ونحن جميعاً إلى هذه الخاتمة منتهون ، أبقاراً وخننازير ودجاجاً
 وخرافاً وشياهاً ، وكل صادق فينا وباغم ، فلن يتاح حتى

لمعاشر الخيل والكلاب حظ أسعد من حظوظنا ولا نهاية هي
خير من نهايتنا .

وأنت يا سيد « بوكسر » ثق أن المستر جونز ، يوم تفقد
قواك ، وينقطع دأبك ، سيبيعك ليقطع عنقك ، ويغلي
على لحمك ، فيلقى طعاماً لكلاب الصيد والقنص .

وأما الكلاب فقد أعد جونز لها حين تشيخ وتترم أسنانها ،
حجراً يربطه بحبل إلى أعناقها ويلقى بها في التربة المجاورة .
فهل أدركتم أيها الرفاق من هذا كله أن شقوتنا في هذه
الحياة ومتاعينا مرجعها إلى طغيان البشر علينا واستبدادهم بنا .
فهلا تخلصتم من الإنسان ، فيكون لكم ثمر كدكم ،
خالصاً ، وتصبحوا بين عشية وضحاها في بسطة من العيش ،
كراماً على أنفسكم أحراراً ليس لأحد عليكم سلطان . . .
ولعلكم تسألون ، وماذا نحن صانعون . . . ؟ ؟

فأقول لكم ، هلموا نعمل ليل نهار ، وتتوفر أبدانا وأرواحنا
وقلباً وقلباً ، على التخلص من الطغيان .

هذه هي رسالتى أيها الرفاق .

إلى الثورة !

ولست أدري متى سيحين حينها . وأيان يأتى يومها ،

فقد تتحقق بعد أسبوع ، أو من يدري ، بعد مائة عام ،
ولكني واثق كل الثقة أنها لا ريب آتية ، وأن العدل على
الدهر قادم .

فضعوا هذا يرافق نصب أعينكم ، في البقية الباقية من
أعماركم ، وأحملوا رسالتي هذه إلى الذين سيأتون من بعدكم ،
حتى تواصل الأجيال الخالفة ما بدأتموه ، ويقع لها الفوز
المبين .

أيها الرفاق ، اجمعوا أمركم بينكم ، ولا تهنوا فيه ، ولا
ترددوا ، ولا تدعوا أحداً يضلكم عنه ، أو يخدعكم فيه ،
ولا تستمعوا لمن يقول لكم إن المصلحة مشتركة بين « الإنسان »
وبينكم ، وإن رفاهيته هي رفاهيته ، والخير العائد عليه
عائد عليكم ، فكل ذلك باطل الأباطيل ، إن الإنسان
لا يخدم إلا نفسه ، ولا يهيمه من الدنيا إلا ذاته ، فلنوحده صفوفنا
نحن معاشر الحيوان ، ولنكن رفقاء في الجهاد متضافرين ،
ولتجعلوا شعاركم « إن كل الناس أعداء ، وكل الحيوانات
رفاق وزملاء » .

وما كاد الخطيب يبلغ هذا الحد من خطبته ، حتى ارتفعت
جلبة شديدة ، وسمعت ضوضاء بالغة ، فقد تسالت عندئذ

أربعة جرذان كبار من شقوقها وجاءت فأقعت على مؤخرها لتصغى إليه ، ولكن الكلاب لم تلبث أن رأتها فجأة ، فهتمت بها ، لولا أن بادرت سراعاً إلى الشقوق ناجية بجلودها .

ورفع « الميجور » إحدى قوائمه ، مشيراً بوجوب السكوت والإصغاء إليه .

ومضى يقول أيها الرفاق ، لقد عرضت اللحظة مسألة ينبغي أن نتبين وجه الحق والصواب منها ، وهى مسألة الحيوانات البرية ، كالأرانب والجرذان ، هل هى أصدقاء لنا أم أعداء . وإنى أقترح أن نأخذ الأصوات .

وليكن موضوع الاقتراع : « هل معاشر الجرذان والفيران رفاق وإخوان . . . ؟ » .

وأخذت الأصوات فى الحال .

وتبين أن الأغلبية الساحقة تعدهم رفاقاً ، ولم يعترض غير أربعة ، الكلاب الثلاثة والهرة ، وقد ظهر فيما بعد أن الأخيرة أعطت صوتها مرتين ، مع المخالفين مرة ، وأخرى مع المؤيدين . . . ! واستطرد « الميجور » يقول :

« وآلآن ليس عندى ما أزيد على ما قلته ، ولكنى أكرر على أسماعكم ما أنا لكم به ناصح . . . لا تنسوا واجبكم . »

وتذكروا أن الإنسان هو عدوكم ، وأنكم لكل وسائله وأساليبه ،
 في هذه الحياة كارهون ، وليكن شعاركم « إن كل من يدب
 على أربع ، أو يرف بجناح ، صديق وإن كل من يمشي
 على اثنتين ، عدو » وأنكم في قتالكم الإنسان لا ينبغي أن
 تشبهوا به ، وإذا تغلبتم عليه قاهرين ، فلا تأخذوا عنه شروره
 ومساويه ، ولا تحاكوه في عيوبه ومناقصه وآثامه ، فلا يجوز
 لحيوان أن يقيم في مسكن ، ولا أن ينام في فراش ، ولا أن
 يرتدى ثياباً ، ولا أن يعاقر شرباً ، أو يدخن تبغاً ، أو يلمس
 مالا ، ويبغي إثراء ، ويطلب تجراً وكسباً ، فإن كل عادات
 البشر رذائل ، وكل شهوات الإنسان إثم .

ولا تنسوا فوق ذلك كله أنه لا يجوز لحيوان أن يطغى على
 أبناء جلدته ، ويستبد بإخوته ، ويعصف بزمرته ، فنحن
 جميعاً أقوياء وضعفاء ، أذكىاء وسذجاء ، إخوان وأصحاب ورفقاء .
 ولا يجوز لحيوان أن يقتل حيواناً سواه .

إن معاشر الحيوانات في نظر القانون سواء . . .

والآن إنني محدثكم عن الحلم الذي تراءى لي في المنام
 الليلة الماضية ، وإنني في الحق لعاجز عن وصفه لكم ، فقد
 كان حليماً بدت فيه دنيانا هذه كما ستكون حين يزول منها

الإنسان ويتوارى عن الوجود ، وقد ذكرنى ذلك الحلم شيئاً
كنت قد نسيتَه من عهد بعيد فقد كانت أمى وأترابها ، حين
كنت فى المهد صبيّاً ، ينشدن أنشودة قديمة لا يعرفن منها
غير نغمتها والكلمات الثلاث الأولى من مقاطعها ، وقد عرفت
تلك النغمة منذ نعومة أظفارى ، ولكنها لم تلبث أن راحت على
الأيام نسباً منسياً ، واختفت من خاطرى ، وإذا بها فى
الليلة الماضية تعاودنى فى الرؤيا ، بل أعجب من ذلك وأغرب ،
أن الألفاظ ذاتها عادت مع أنغامها ، ألفاظاً أنا على يقين
من أن الحيوانات كانت تغنيها فيما مضى ثم نسيت على مر
الأجيال وتلاشت من الذاكرة .

وإنى منشدكم هذا النشيد الآن ، أيها الرفاق ، وإن كان
صوتى قد ضعف مع الشيخوخة وبحت نبراته ، ولكنكم
ستتعلمون النشيد وتأخذونه عنى ، وتعرفون كيف تجيدون
إنشاده ، وتحسنوا التغنى به

وتنحني « الميجور » الشيخ وبدأ يغنى ، وكان صوته أجش
وإن أجاد الغناء . . .
وكان النشيد هكذا :

يا معشر الحيوان ، فى كل صقع ومكان

أبشروا . على الزمان ، بعهد باهر ومصير جميل
 سيأتى عليكم . أوان ، يزول فيه الطغيان
 وتخلو الأرض للحيوان ، وتكثر الثمار فى البستان

• • •

اللحم ستزول عن الصافنات ، والسرج سترفع من فوق الصهوات
 والمهازلن يشك الحاصرات ، والسياط غداً لن تلهب الأبدان

• • •

الحقول ستغدو ناضرة ممرعة ، والأنهار ستروح صافية مترعة
 والأنسام عليلة رخاء ، ونحن غداً الأحرار الطلقاء
 لهذا اليوم السعيد فلنناضل ، وليأخذ الأواخر فيه عن الأوائل
 ويساهم الأبقار فيه والثيران ، ويكافح الجميع فى الميدان

• • •

يا معشر الحيوان ، فى كل صقع ومكان
 أبشروا على الزمان ، بعهد باهر ومصير جميل
 ولم يلبث التغنى بهذا النشيد أن أثار أصدق الحماسة ، وما
 كاد الميجور يأتى على ختامه ، حتى بدأ الجمع ينشده فى
 أثره ، وأوشك أغبى الأغبياء فيهم أن يلتقط نغمته ،
 ويستظهر بعض الألفاظ ، وأما الأذكىاء منهم كالحنازير

والكلاب ، فلم تكد تمضى لحظات حتى حفظوها عن ظهر قلب ، ووعوا كلماتها وعياً .

وإذا بالنشيد بعد تجارب ابتدائية يرتفع في الفضاء وتتعالى به العقائر في انسجام تام .

فقد مضى البقر بنخوارهم يغنونه ، وذهب الكلاب بنباحهم ينشدونه ، والغنم برغائهم يتلونه ، والحيل بصهيلهم يرددونه ، والأوز بصياحهم يرتلونه ترتيلاً .

ولشد ما كان فرحهم ، حتى لقد رددوه خمس مرات متعاقبة ، وكانوا موشكين أن يواصلوا إنشاده الليل بطوله لو لم يحل دونهم حائل ، فقد استيقظ المستر جونز فجأة على أصواتهم المرتفعة ، وجلبتهم المترددة ، فوثب من فراشه ، وهو يحسب الثعلب قد تسلل إلى الفناء ، وراح يلتقط بندقيته التي اعتاد أن يضعها بجانب سريره ، ويطلق قذائف منها في الفضاء . وغابت القذائف في جدار الخزن ، فتفرق الجمع سراعاً ينسلون . وفر كل حيوان منهم إلى مرقده .

ولم تمض لحظة أخرى حتى لعب الكرى بمعاقد الأجفان وغمر الضيعة سكون . . .

وعاجل الموت الحلو الأكر بعد ثلاث ليال ، فقضى
 نحيبه في فراشه ، ومات وهو نائم ، ودفن جثمانه في أقصى
 طرف من البستان .

كان ذلك في أوائل شهر مارس .
 وانقضت الأشهر الثلاثة التالية في نشاط خفي مستمر ،
 وحركات سرية بغير انقطاع .
 فقد غيرت خطبة الميجور رأى الأذكياء من الحيوانات
 في المزرعة ونظرتهم إلى الحياة .

ولم يكن هؤلاء يدرون متى هذا الوعد الذي وعدهم ،
 وأيان تتحقق « الثورة » التي تنبأ بها ، ولا وجدوا سببا يدعوهم
 إلى الاعتقاد بأنها ستحدث في عهدهم ، وتنشأ في زمانهم ،
 وقبل نفاد آجالهم ، ولكنهم كانوا موقنين بأن من واجبهم
 الجهاد في سبيلها ، والمثابرة على التمهيد لها ، وكان أمر التعليم
 والتنظيم وبث المبادئ والدعوة إلى التعاليم من شأن الخنازير
 بطبيعة الحال وجماعة الحلاليف ، لما عرف عنهم في عالم

الحيوانات من الذكاء الوقاد ، والفطنة البالغة .
 وكان من أبرز الشخصيات بين معاشر الخنازير خنزيران
 من الشباب ، يدعى أحدهما « سنوبول » ويطلق على الآخر
 « نابوليون » .

وكان المستر جونز يربيهما ويتعهدهما على نية بيعهما إذا
 سمنا واكتترا .

وكان « نابوليون » ضخماً مهيب السحنة ، مخيف الحلقة ،
 قليل الكلام ، ولكنه المتفرد بالرأى ، النفاذ لما يشاء ، العنيد
 لا يثنيه عن رغبة شيء .

أما « سنوبول » فكان أكثر من صاحبه نشاطاً ، وأشد
 مرحاً ، وأجنىح إلى الكلام ، وأوفر ابتداءً ، وإن لم يكن في
 رأى الجماعة قوى الشخصية كـنابوليون .

وأما الآخرون منهم في المزرعة فكانوا جميعاً « خنانيص » أى
 خنازير صغاراً وحلايف عاديين .

ولعل خيرهم كان « سكويلز » وهو خنزير فقى كثير
 الشحم مستدير الخدين ، براق العينين ، خفيف الحركة ،
 صافر الصوت ، رفيع الجرس ، البارع إذا تحدث ، المنطيق
 إذا جادل أو حاور ، الضارب بذيله ، ليقرى السامعين

بحجته ، حتى لقد ألف الآخرون أن يقولوا عنه إن صاحبكم
«سكويلر» هذا في إمكانه أن يقلب الأسود أبيض ، في
مقابلة الحجة بالحجة ، والبرهان بالبرهان . . .

وقد عكف أولئك الخنازير الثلاثة على إفراغ تعاليم الخلوف
الأكبر في نظام كامل ، ومذهب معين ، أطلقوا عليه
«الحيوانية» أو «الأنيماليزم» .

وكانوا يعقدون في الليل عدة اجتماعات سرية كل أسبوع ،
عقب ذهاب المستر جونز إلى فراشه ، وكان لقاءهم عادة في
«الجرن» حيث مضوا يشرحون المبادئ الجديدة للحيوانات
الأخرى ويسلطون ما دق عليها من الأفكار والتعاليم .

وقد قوبلت تلك المبادئ في أول الأمر بنفور واستخفاف
وجهالة ، بل لقد مضى فريق منهم يتحدثون عن واجب
«الولاء» نحو المستر جونز بوصفه «السيد» والمالك ، أو
يقولون عنه إنه هو الذي يطعمنا ويغذيها ، وإننا لو ذهب
هالكون جوعاً ، بينما مضى آخرون فيهم يتساءلون قائلين ماذا
يهمنا من الدنيا وما فيها بعد أن نذهب منها . . . وإذا كانت
«الثورة» لا محالة واقعة ، فعلام نسعى لها سعياً ، ونعد
لها عدتها .

وكان الخنازير يجتهدون في إقناعهم بأن هذا الاتجاه يتنافى مع روح التعاليم وجوهرها .

ولعل ألتخف سؤال وجه إلى معاشر الخنازير سؤال « مولى »
الفرس البيضاء ، فقد ذهبت تسأل الرفيق « سنوبول » لأول
وهلة : وهل سيبقى فى الأرض سكر بعد الثورة . . . ؟ ؟
قال بلهجة التوكيد : كلا ، فلسنا نملك فى المزرعة من
الوسائل ما نصنع به السكر ، ولكنك لن تحتاجى إليه
أيتها الرفيقة ، إذ ستنعمن من الدخن والذرة والشعير بما تشائين .
قالت : وهل سيؤذن لى بتجميل معرفتى بالأشرطة
والفيونكات ؟ ؟

فصاح سنوبول بها قائلاً : إن هذه الأشرطة التى تولعين
بها أيتها الرفيقة هى شارة العبودية والهوان ، أفلا تدركين أن
الحرية خير ألف مرة من أشرطتك هذه وربطاتك ؟ ؟ .
وهزت مولى رأسها مقرة ، وإن بدت غير مقتنعة .

وقد لقي الخنازير عناء شديداً فى محاربة الأكاذيب التى
كان ييئها موسى الغراب الأسحم ، فقد كان أحب الطير
فى المزرعة إلى نفس صاحبها ، وكان عيناً على الآخرين
وحاسوساً وراوية ، وهو أيضاً المتحدث البارع المتفنن حتى

ليزعم أنه العليم بوجود عالم مجهول يدعى « جبل القصب » أو « الجنة الفيحاء » يذهب إليه معاشر الحيوانات إذا انتهى في هذه الدنيا أجلها .

وكان يقول في وصفها إنها في موضع ما من السماء ، فوق السحب ، وإن الحياة فيها رغد مقيم ، والحشيش فيها على العام كله غير منقطع ، وإن أسوارها النضر تنبت القصب ، وتخرج السكر ، وتطلع الكسب مختلفاً ألوانه لذة للآكلين .

وكانت الحيوانات تكره موسى لأنه يكثّر من الكلام ولا يؤدي عملاً ، وإن كان فريق منهم قد آمنوا بوجود « جبل القصب » رغم اجتهد الخنازير في إقناعهم بأن لا وجود له . وكان الحصان « بوكسر » والفرس « كلوفر » أخلص أتباعهم ، ونخير تلاميذهم ، فقد كانا لا يقويان على تفكير مستقل ، ولا يستطيعان تأملاً ولا بحثاً ، فلا عجب إذا هما ، بعد التسليم للخنازير بالأستاذية ، قد راحا يصدقان كل ما يقال لهما ، وينقلان ما يسمعانه إلى الحيوانات الآخرين كقضية مسلم بها لا تحتاج إلى دليل .

وكانا يحضران الاجتماعات السرية مثابرين لا يتخلفان ليلة عنها ، ويستبقان الجمع إلى إنشاد النشيد القومي ، قبل انفضاضها .

ولم تلبث «الثورة» أن وقعت أبكر وأيسر مما كان في الحسبان .
 فقد كان المستر جونز فيما مضى من السنين مزارعاً أخوا
 كفاية ، ورب مقدرة ، ولكن الأيام تنكرت أخيراً له ،
 وعبس وجه الزمان ، فغلبه القنوط على أمره ، لنفاد ماله في
 إحدى القضايا ، والحاجة إلى الشراب ، حتى ليظل أياماً
 عدة مستلقياً في مقعده الرحيب في المطبخ يقرأ الصحف ،
 ويعاقر الخمر ، ويلتقئ من وقت إلى آخر بفتات من الخبز
 المشرب في البجة لغرابه العزيز موسى .

وأغرى مسلكه هذا عماله بالبلادة والخيانة والإهمال ، ففسد
 الزرع ، وتداعت السقوف ، وتهدم الغوسج ، وشح على المواشي
 والحيوانات الغذاء .

وأقبل شهر يونية : June

وكان التبن يتهيأ للقطع والتخزين .

ولم يأت اليوم الثانى والعشرون منه ، وكان يوم أحد ،
 حتى ذهب المستر جونز إلى قرية «ويلنجدون» المجاورة وظل
 يعاقر الخمر في حانة «الليث الأحمر» حتى ذهبت الصهباء
 بلبه ، فلم يعد إلى المزرعة إلا في غداة اليوم التالى ، وكان
 العمال قد حلبوا البقر في بكرة النهار ثم خرجوا لصيد الأراتب

غير حافلين بإطعام الحيوانات ولا علف البهائم .
أما المستر جونز فلم يكذ يصل إلى المزرعة حتى أوى
إلى حجرة الجلوس ، فنام على المتكأ ، وتولاه النعاس ،
ولا تزال جريدة « الأخبار » لصق وجهه .

وحان المساء ولا تزال الحيوانات ساغبة لا تجد طعاماً .
وطال بها انتظاره ، حتى نفذ أخيراً صبرها ، فذهبت
بقرة فكسرت باب السقيفة بقرنيها ، وأقبل الآخرون سراعاً
في أثرها وهم يهونون على « المزود » يأكلون ما شاءوا .
واستيقظ المستر جونز على تلك الحركة ، فبادر هو ورجاله
الأربعة إلى السقيفة والسياط في أكفهم ، يضربون بها في
كل ناحية .

فلم تطق الحيوانات هذا الأذى ، ووثبوا يجمعهم مرة واحدة على
معذبيهم ، وإن لم تكن وثبتهم عن اتفاق ، ولا تدبير معين .
وإذا بالمستر جونز وصبياناه لا يدرون كيف يتقون النطح
الموجه إليهم من كل مكان ، والركل المهوى عليهم من
كل ناحية .

ووجدوا الموقف حرجاً ، وهم ذاهلون ، يعجبون لهذا
المسلك الذي لم يشهدوا من قبل مثله ، ولا يدرون ما الذي

أثار الحيوانات عليهم هذه الثورة البالغة ، وقد ألفوا أن يضربوها
ويؤذوها كما يشاءون ، فلا تلبث أن تخافهم ، وتدعن لهم
صاغرة .

ولم تمض لحظات حتى كفوا عن المقاومة ولاذوا بأذيال
الفرار مروعين .

وتعقبهم الحيوانات فرحة منتصرة إلى الطريق العام .
ورأت امرأة جونز هذا المشهد من نافذتها فأسرعت إلى
حقيبة لها فحملت في جوفها ما خف وزنه وغلا ثمنه ،
وخرجت من القرية متسللة .

ورآها موسى تعدو فطار من مجثمه ، وهو يرسل في جو
السماء نعيقاً مستطيلاً .

أما الحيوانات فقد ظلت تطارد المستر جونز وعماله حتى
أخرجتهم من حدود المزرعة وردت الأبواب من خلفهم لكيلا
يكون إياب .

وهكذا قامت « الثورة » المنشودة وانتهت بنجاح وهم لا يشعرون .
وطرد « جونز » وأصبحت المزرعة لمعاشر الحيوان . . .
ووقف الجمع بضع دقائق مذهولين لا يكادون يصدقون أن
التوفيق كان لهم حليفاً .

وكان أول خاطر وثب إلى غرائزهم أن راحوا في حشد حاشد يدورون حول حدود المزرعة ، كأنما ليستوثقوا من أن إنساناً غير محتبئ في ركن منها ، وما لبثوا أن عادوا سراعاً إلى المباني والمساكن فيها ليزيلوا آخر بقايا العهد البغيض . . . !

واقترحوا مخزن اللجم والسروج القائم في أقصى طرف من « الدوار » ، وراحوا يلقون في غيابة الجب كل ما حوته من لجم وأسرجة وسلاسل وسكاكين اعتاد المستر جونز أن ينحصى بها الخنازير والخراف الصغار والحملان .

أما الأعنة و« الرشيات » والغمامات والمخللات المهينة التي تعلق في الرقاب فقد ألقوا بها في النار المشبوبة في فناء الدار لإحراق المهملات .

وكذلك فعلوا « بالكراييج » والسياط .

ولشد ماتهللوا فرحاً حين رأوها تتواثب في اللهب وتأتى عليها النيران . وعمد « سنوبول » إلى الأشرطة « والفيفونكات » التي كانت تزين بها معارف الأفراس وأذياها حين الخرجة إلى السوق فدمسها في النار وهو يقول إن هذه الأشرطة ينبغي أن تعد من ضمن الثياب ، والثياب من شعائر البشر ، ولا يجوز للحيوانات ارتدائها بحال .

وسمع الحصان « بوكسر » مقالة « سنوبول » فبادر إلى القبة القش التي كان يغطي بها رأسه في الصيف ليزود عن أذنيه الذباب ، فألقى بها في النار .

وهكذا في لحظة قصيرة أتلّف الحيوانات كل ما يذكرهم بالمستر جونز والعهد البائد .

واقتادهم « نابوليون » بعدئذ إلى السقيفة ووزع عليهم « جارية » مضاعفة من الفول ، وأعطى الكلاب قطعيتين من البقسماط . وانطلقوا ينشدون « النشيد القومي » سبع مرات ثم آووا إلى المراقد حين جن الليل واستمتعوا بنوم هنيء لم يستمتعوا بمثله في يوم من الأيام .

ولكنهم صحوا مع مطالع الفجر كيلا يفهم ، وعندئذ تذكروا فجأة الحدث العظيم الذي جرى بالأمس ، فانطلقوا جميعاً إلى المراعى متسابقين .

وكان في المزرعة ربوة تشرف على الضيعة من جميع أرجائها ، فصعدوها خفافاً وراحوا يديرون أعينهم فيما حولهم على ضياء الصباح المشرق الجميل .

إي والله . . . !

إن هذه الأرض لهم ، وكل شيء حولهم ملك يمينهم . . . !

وفي فرحة هذه الفكرة ، ولذة هذا الخاطر ، مضوا يطفرون
ويقفزون حلقات ، ويتواثبون في الهواء ذاهلين من فرط
المرح والسرور .

وانكفأوا من بعد الوثب والطفرة يتدحرجون فوق الندى
ويقضمون ملء أشداقهم عشباً وحشائش ناضرة ويثيرون
بأرجلهم قطعاً من الطين ويستافون بأنوفهم ريحها العطرة ،
وشذاها المسكر العجيب .

وانثنوا يطوفون بالمزرعة ويتفقدون في إعجاب مفرط يعتقد
الألسنة ، الحقل المحروث ، والتبن المكدس والبستان والبركة
والمغزل ، وقد بدت لهم كأنها جديدة عليهم لم يبصروا من قبل
شيئاً منها ، ولا يكادون يصدقون أنها أصبحت لهم غير
منازعين .

وعادوا من طوافهم إلى مباني المزرعة فوقفوا في صمت
خارج البيت .

لقد أصبح البيت أيضاً ملكاً لهم .
ولكنهم وقفوا خائفين يتهيّبون الدخول .
وإذا بنابرليون وصاحبه سنوبول بعد لحظة يدفعان الباب
بكتفيهما ، فينفتح أمام الجمع الحاشد .

وأقبلوا يدخلون منه صفّاً مستطيلاً وهم في حذر شديد خشية أن يتلفوا شيئاً ، أو يصطدموا به ، وراحوا يمشون على أطراف أقدامهم من حجرة إلى أخرى ، مشفقين من الكلام إلا همساً ، ورانين بأبصارهم في رهبة إلى هذا الترف البادى من حولهم ، بين سرر منصوبة ، ونمازق مصفوفة ، وزرابى مبثوثة ، وفراش وثير .

ولأنهم لينزلون مدارج السلم إذ افتقدوا الفرس البيضاء «موللى» فلم يجدوها .

فعادوا للبحث عنها ، وتذكر بعضهم أنهم تركوها آخر المطاف في المخدع ، فالتسوها فيه ، فإذا هى قد تناولت منه شريطاً أزرق وأمسكت به حبال كتفها ، ووقفت تترأى في المرأة مختالة مزدهية ، فعنفوها على فعلتها ، ونزلوا السلم منصرفين .

وعرجوا على المطبخ فرأوا فيه أفخاذا مملحة من الخنازير ، فحملوها لدفعها ومواراتها تحت الثرى ، وأبصروا « دن » البيرة في ركن منه ، فرفسه « بوكسر » بأحد حوافره فانسال ما فيه .

ولم يلمسوا في البيت شيئاً .

وقرروا بالإجماع أن يحتفظوا بالبيت متحفاً . . . !
 واتفقت كلمتهم على أن لا يقيم فيه أحد منهم .
 ولما تناولوا طعام الصباح دعاهم نابوليون وسنوبول إلى الاجتماع
 وخطبهم سنوبول أولاً فقال : « أيها الرفاق ! الساعة قد آذنت
 منتصف السابعة ، وأمامنا نهار شاق ، ونصب طويل ، فنحن
 اليوم سنبدأ حصاد الحشيم ، ولكن هناك أمراً آخر لا يصح
 لنا أن نغفله . . . »

وعندئذ انبرى معاشر الخنازير يقصون على القوم كيف
 تيسر لهم الإلمام بالقراءة والكتابة من كتاب هجاء قديم كان
 يتعلم منه أولاد المستر جونز وصبيته ، ثم ألقوه بعد حين في كومة
 « الزبالة »

وبعث نابوليون يطلب مداداً وطلاء أبيض وقاد الجمع إلى
 « البوابة » العامة التي تنتهى عندها حدود المزرعة ، وعندئذ
 تناول سنوبول ، وكان أعرفهم بالخطوط ، فرشاة فأثبتها بين
 ساقيه ، وراح يمحو اسم المزرعة المكتوب على لوح قائم عند
 البوابة وهو « مزرعة الذوات » ويكتب مكانه اسماً جديداً لها
 وهو « مزرعة الحيوانات » !

وعادوا بعد هذا إلى مباني الضيعة فأقام نابوليون وصاحبه

سنوبول سلماً خشبياً مسنداً إلى الجدار ، وهما يقولان للجمع الخاف من حولهما إن الخنازير قد درسوا في الأشهر الثلاثة الماضية مبادئ المذهب الحديد ، وهو « الحيوانية » واستطاعوا تلخيصها في « سبع وصايا » ، وأنهم سينقشون هذه الوصايا السبع على الجدار لتكون « قانوناً » محترماً في المزرعة لا يخالفه أحد من معاشر الحيوانات .

وتسلق « سنوبول » السلم بشيء من المشقة ، لأن الخنازير لا تستطيع بسهولة التوازن عليه ، وبدأ يكتب تلك الوصايا ، في حين وقف « سكويلر » على إحدى درجاته الدنيا ممسكاً بوعاء الطلاء ليمده إلى صاحبه كلما أراد غمس الفرشاة فيه .

ولما فرغ من هذا العمل بدت الوصايا مكتوبة بخطوط عريضة تشاهد من مكان بعيد .

وكانت الوصايا السبع هي :

- ١ - كل من يمشى على اثنتين عدو .
- ٢ - كل من يمشى على أربع أو يرف بجناحين صديق .
- ٣ - لا يجوز لحيوان أن يرتدى ثياباً .
- ٤ - ولا أن ينام في فراش .
- ٥ - ولا أن يقتل حيواناً آخر .

٦ - ولا أن يعاقر الخمر .

٧ - الحيوانات جميعاً متساوون .

وكان الكلام جليلاً ، وإن خالطته أغلاط في الهجاء .

ووقف سنوبول يتلوها على أسماع الآخرين .

وجعل هؤلاء يهزون رؤوسهم مؤمنين على كل وصية منها ولم

يلبث الأذكىاء فيهم أن استظهروها .

وألقى « سنوبول » الفرشاة من يده وأنشأ يقول : « والآن أبها

الرفاق ، هلموا بنا إلى حصاد الحشيم ، لنجمع قشاً وتبناً ،

وليكن فخارنا أن نتم جمعه في وقت أقصر مما كان يستغرقه

جورنر وصبياناه في حصاده » .

ولكن البقرات الثلاث أرسلن في تلك اللحظة خوارجاً شديداً ،

وقد بدت عليهن سمات القلق والألم الممض ، فقد انقضت

عليهن أربع وعشرون ساعة واللبن محتبس في ضروعهن حتى

كادت منافجهن تنفجر انفجاراً .

ووقف الخنازير يفكرون ملياً .

وما لبثوا أن أرسلوا في طلب جرار وأقبلوا على البقرات

يحتلبون أخلافها مستعينين بأيديهم وأرجلهم في يسر .

وماء اللبن خمس جرات كبار ، وقد فاضت به وهو يرغب

ويزبد من وفرته وطول محتبسه .

وليث القوم ينظرون إلى اللبن الحليب في شغف .

قال قائل منهم : ماذا نحن صانعون بهذا اللبن كله ؟؟

قالت دجاجة : لقد كان السيد جونز أحياناً يخلط « الردة »

التي يقدمها إلينا بقليل منه . . .

وصاح نابوليون وهو يتقدم إلى الجرار قائلاً : دعوا اللبن

وأمره إلى حين ، فسنغني به ، وتعالوا إلى الحصاد فهو أهم

منه شأنًا ، وسيتقدم الرفيق سنوبول الجمع إليه وسأوافيكم بعد

قليل ، إلى الأمام يا رفاق . . . إن الحصاد ينتظركم .

وهكذا انطلق الجمع إلى الحقل ليجمعوا القش .

ولكنهم حين عادوا مع المغيب لم يروا لجرار اللبن أثرًا ... !

— ٣ —

ولشدّ ما كدحوا وتصبّيت أجسامهم عرقاً في نقل « التبن » إلى المخزن .

ولكن جاء الجزاء موفوراً ، لأن الحصاد كان أكبر وأكثر مما كانوا يرجونه .

وكان العمل أحياناً شاقاً ، لأن الأدوات صنعت ليستخدمها الإنسان ، ولم تكن ميسرة للحيوان .

وتبين أيضاً أنهم لا يستطيعون استخدام الآلات التي تستوجب الوقوف على الساقين الخلفيتين .

ولكن معاشر الخنازير كانوا من الحذق بحيث لم يكن ليعزّ عليهم علاج كل صعب ، وتيسير كل مشقة .

أما الخيل فكانت عليمة بكل شبر في الحقول ، بل كانت أعرف من جونز ذاته وصبيانته بالحش والدرس .

ولم يكن الخنازير يؤدّون في الواقع عملاً ، لأنهم تولوا التوجيه والإشراف ، وكان طبعياً لما أصابوا من العلم ، وتواى لهم من الفهم ، والمعرفة ، أن تكون الزعامة لهم .

ولم يكن من الحصان « بوكسر » والفرس « كلوفر » إلا أن يتناولوا الحش والخجرات ، ويروحا يذرعان الحقل بغير لحم ولا أعنة ، فقد انقضت أيامها بلا ريب وذهب الزمان بها ، وحسب الخنازير أن يندبوا واحداً منهم ليمشي في إثرهما موجهاً مشرفاً ، يصيح بهما مرة قائلاً : « إلى اليمين أيها الرفيقان ! وأخرى منبهاً : « إلى اليسار أيها الرفيقان ! كلما أراد ملاحظة ، أو عنت له فكرة في حش الحصول .

وكان كل حيوان في المزرعة من أكبر كبير إلى أصغر صغير يشتغل في جمع الحصاد ونقله إلى الأهراء ، حتى الأوز والدجاج مضى يكده ذهاباً وحيثه في كل يوم تحت وقدة الشمس حاملاً حزمات صغيرة من القش بمناقيره .

وهكذا استطاعوا الفراغ من الحصاد في فترة أقصر يومين مما كان جوتز وعماله يستغرقون فيه .

وكان أوفر حصاد تواني للمزرعة منذ نشأتها ، فلم يذهب منه شيء هباء ، إذ جعلت الدجاجات والإوزات بأعينهن الحداد تجمع كل عود ، ولا تترك منه في الأرض شيئاً ، بل لم يخطر ببال أحد من الحيوانات أن يسرق ولا قدر حفنة أو ملء شدين منه .

وظل العمل في المزرعة طيلة الصيف مطرداً منظماً دقيقاً كالساعة ، وسعد الحيوانات بالحياة كل السعادة ، وأحسوا رغداً لم يحسوا مثله في يوم من الأيام ، فكانت كل لقمة هنيئة ، وكل طعام سائغاً ، لأنه طعامهم وحدهم ، وثمرة كدّهم دون شريك أو مغتصب مستبد ، وهم الذين أنتجوه بأنفسهم ، لأنفسهم ، فلم يلق إليهم من كف سيد متفضل ، ولا جاء فتاتاً من موائد طاغية محتكر .

لقد أصبح الطعام وفراً ، وبات الخير كوثراً ، لأن الذين كانوا يعيشون « عالة » أو « أوكالا » عليهم قد ذهبوا ، وانقضى عهدهم البغيض .

ولكنهم واجهوا عدة صعاب ، كدرس الغلة بعد الحصاد فقد راحوا يدرسونها على الأسلوب القديم ، وهو ذرها في الهواء بأنفاسهم لنفي القشور منها وتنقيتها من القش ، إذ لم يكن في المزرعة مجارف ولا أدوات حديثة لدرس الغلال .

ولكن الخنازير بذكائها وبراعتها ، والحصان « بوكسر » بعضلاته القوية المفتولة ، لم يلبثوا أن تغلبوا على تارك المشاق . وكان « بوكسر » موضع الإعجاب العام .

لقد كان حيواناً دؤوباً حتى في عهد السيد جونز وإن بدا

اليوم أقوى مما كان ، حتى لتعدل قوته بأس ثلاثة أحصنة مجتمعة .

وقد مرت أيام كان العمل كله في المزرعة معتمداً على بأسه الشديد وعضله المفتول ، وكتفيه القويتين حتى ليقضى النهار كله من مطلعته إلى الغروب يعمل في الحقل ، ويكدح في الغيط ، وحيثما يتطلب الأمر أكبر الجهد ، تراه المتوفر عليه ، المتفرغ له .

وكان قد اتفق مع ديك صياح في القرية على أن يتولى إيقاظه قبل أى أحد سواه إذا تنفس الصبح ، فيذهب من يقظته متطوعاً لنجاز أى عمل عاجل لا مفر من إتمامه قبل أن تبدأ ساعات العمل المقررة للجميع .

وكان جوابه عن كل مشكلة ، ورده على كل ملاحظة : « إننى سأضعف جهدى » ، حتى أصبحت هذه الكلمات له شعاراً .

وكان كل حيوان في المزرعة يعمل قدر طاقته ، فإن الدجاج والأوز مثلاً استطاعوا توفير خمسة أرادب من الغلال عند الحصاد يجمع الحبوب المتناثرة ، والتقاط الأكوام الدقيقة المبعثرة . ولم يكن أحد ليسرق شيئاً ، ولا شكاً فرد منهم نقصاً في جرابته .

وكادت تتلاشى أعراض النزاع والشجار والحقد والتحاسد
التي كانت غالبية على الحياة في الأيام الحالية .
ولم يتهرب أحد من العمل ، وإن كانت « مولى » الفرس
المزهوة بنفسها تتأخر في النوم ، فإذا أقبلت على العمل تركته
قبل الموعد ، مدعية أن حجراً أصاب حافرها .
وكان سلوك المرة أيضاً غريباً .

فقد تبين أنها تختفي كلما عرض عمل ، أو التمت له ،
حتى لتظل الساعات الطوال متوارية ، ثم تظهر قبل وجبة
الطعام ، أو على مطالع المساء ، بعد الفراغ من كدح النهار ،
كأنما لم يحدث شيء ، ولم تكن عنه غائبة .
ولكنها كانت تجيد اختراع الأعذار ، وتروح تموء بلطف
ورقق وتودد ، حتى ليصعب على الآخرين الاعتقاد بأن تصرفها
كان بسوء نية ، أو عن مكر وخب .

أما الحمار « بنيامين » فكان يبدو كما هو لم يتغير ولم يعرفه
تبديل منذ وقوع « الثورة » ، فكان يؤدي عمله بذلك البطء
المعهود منه في العهد القديم ، بغير تهرب ولا تحايل على الفرار
من الشغل ، ولكن دون تطوع من نفسه لمزيد منه ، أو
عمل إضافي .

ولم يكن يبدى فى الثورة وتمراتها رأياً ، ولا يصارح أحداً بما فى نفسه منها ، فإذا سئل هل هو أسعد حالاً مما كان على العهد البائد ، لم يزد على قوله : إن الحمير يعيشون طويلاً ، ويتراخى بهم الأجل ، وما أحسب أحداً منكم شهد يوماً حماراً حضره الموت . . . !

فكان القوم يقنعون منه بهذا الجواب المقتضب .
وكان يوم الأحد موعد الراحة العامة ، وفيه يتأخر الفطور ساعة عن ميقاته فى الأيام الأخرى فإذا انتهوا منه اجتمعوا لحفل معين ، لا ينقطع ولا يبطل لسبب ما .

وكان أول شيء يقام فيه هو نصب العلم ، فقد وجد « سنوبول » فى مخزن السروج قماشاً أخضر لعله كان غطاء مائدة استغنت عنه امرأة جونز ، فأتى بطلاء أبيض ورسم عليه حافراً وقرناً .

وكان هذا العلم ينصب على سارية فى حديقة الدار صباح الأحد .

وكان سنوبول فى شرح سر هذا العلم يقول : لقد جعلناه أخضر كما ترون ليمثل الحقول الناضرة والمروج الأخضر ، وأما الحافر والقرن فيمثلان « الجمهورية » المنتظرة فى عالم الحيوان ،

إذا ما تم لنا القضاء على أعدائنا ، وإدالة دولة خصومنا من الأرض جميعاً .

فإذا رفع العلم فوق السارية جاء الحيوانات صففاً صففاً ففقدوا في « الجرن » اجتماعاً عاماً كانوا يطلقون عليه كلمة « الجلسة » أو « المؤتمر » ، وفيه كانت توضع برامج الأعمال في الأسبوع القادم وتدور المناقشات في المسائل العامة ، وتتخذ القرارات بشأنها .

وكانت الخنازير هي التي تتقدم إلى المؤتمر بمشروعات القرارات ، أما الحيوانات الأخرى فكانت تعرف كيف « تقترح » عليها ، ولكنها لم تكن تفكر يوماً في اقتراح مشروع قرار تطلب إلى المجلس إقراره .
وكان « سنوبول » و « نابوليون » أنشط القوم وأبرعهم في إدارة المناقشات .

ولكن تبين أنهما على خلاف مستمر ، وظهر أنهما لم يكونا يوماً على وفاق ، فكلما تقدم أحدهما باقتراح ، اعتقد القوم على الأثر أن الآخر سيعارضه .
وقد عرض يوماً على المجلس اقتراح لم يكن أحد يظن أنه سيجد اعتراضاً عليه من أية ناحية ، وهو إنشاء ملجأ في

طرف الحقيقة كدار يقيم فيها الحيوانات التي جاوزت سن العمل ، وحن لها التقاعد ، ولكن لم تلبث المناقشة أن استحمت وارتفع مد الجدل حول تحديد سن التقاعد لكل طبقة من الحيوانات ، ولم ينته المجلس إلى رأى حاسم .
وكان المجلس ينتهى بالنشيد القومى :

يا معشر الحيوان فى كل صقع ومكان...!
ويخصص الأصيل فى ذلك اليوم للرياضة والفسحة واللهو .
وما لبث الخنازير أن جعلوا مخزن السروج مركز رياسة لهم ،
فكانوا يقبلون بعد الغروب على دراسة أعمال الحدادة والنجارة
والمهن الأخرى ، مستعينين بالكتب التي وجدوها فى دار
المزرعة .

وتوفر سنوبول على تنظيم اللجان وتشكيل الهيئات ، فألف
مثلا لجنة للدجاج دعاها « لجنة إنتاج البيض » ، وشكل أخرى
للبقر سماها « اتحاد الأذبال النظيفة » وثالثة أطلق عليها
« لجنة الثقافة والتهديب للرفاق البريين » لتتولى تدجين الجرذان
والأرانب ، ورابعة للأغنام عرفت بلجنة « الصوف والوبر
الأبيض » ، وغيرها من اللجان المتعددة الأشكال والأهداف .
وأنشأ أيضاً فصولا وفرقا لتعليم القراءة والكتابة ومحو الأمية .

ولكن هذه المشروعات باءت في جملتها بالفشل ، وحبط

عملها . ٩

فلم تلبث لجنة « التدجين » مثلاً أن عاجلها الانحلال ، لإخفاقها في تحقيق المراد منها ، فقد ظل الأرناب والجردان على إيلافها ، وكلما أحسنوا معاملتها ، ازدادت نفوراً وأسأت استغلال الكرم الذى عوملت به .

وكانت الهرة قد انضمت إلى لجنة « التدجين » ولبثت أياماً في نشاط ظاهر ، وعمل مستمر .

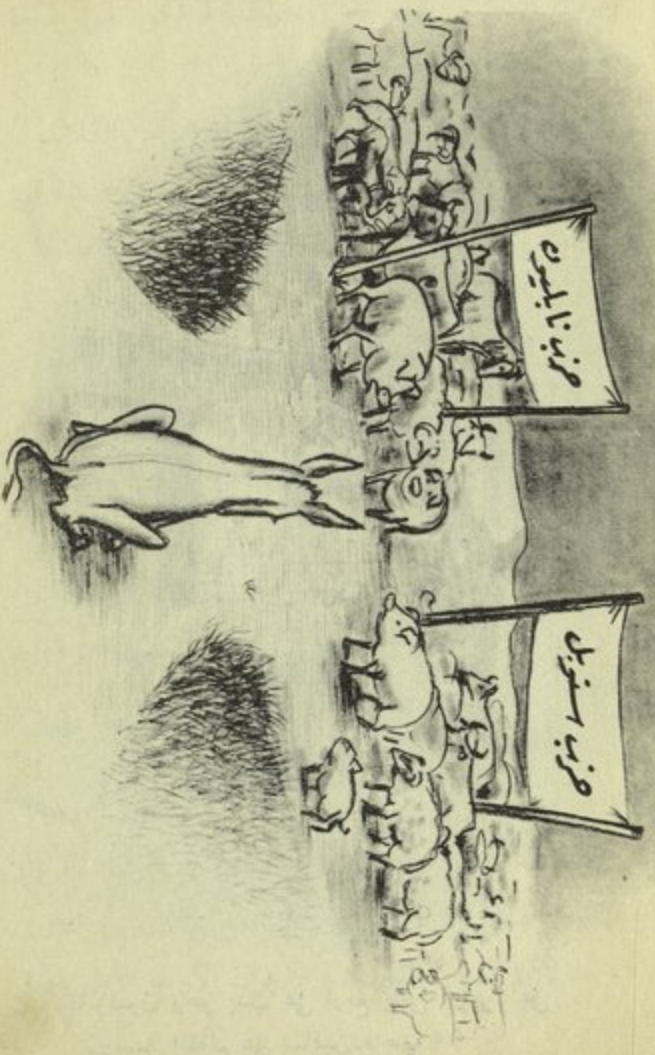
وقد شوهدت يوماً جالسة فوق السطح تتحدث إلى بعض « الخطاطيف » وهن بعيدات من منالها .

وكانت تقول لمن إن جميع الحيوانات أصبحوا اليوم رفاقاً وإن كل خطاف منها حرّ في المجيء إليها والجلوس على كفها إذا شاء ، فلا خوف عليه ولا عدوان .

ولكن الطير ظلت بمنأى لا تبغى اقتراباً . . .

أما فصول التعليم والفرق التى أنشئت نحو الأمية فقد لقيت نجاحاً باهراً ، فلم يأت الخريف حتى كان كل حيوان في المزرعة متعمداً إلى حد ما .

ولم يلبث معاشر الخنازير أن أتقنوا القراءة والكتابة كل الإنقان .



« وكان المحار بنيامين هو الحيوان الاوحد الذي لم ينحز الى هذا الحزب او ذاك » ص ٧٤



« نابوليون وهو يدب على أربع يلقى أوامره على
ويمبر القائم على ساقين » ص ٩٥

وعرفت الكلاب كيف تقرأ ، ولكنها لم تكن تغنى بقراءة
شئ غير الوصايا السبع .

ولكن « موريل » الجدى كان أحسن قراءة من الكلاب ،
حتى لقد اعتاد أحياناً أن يقرأ على الآخرين فى المساء من
قصاصات من الصحف القديمة وجدها فى كومة الأقدار .
وكان بنيامين الحمار لا يقل علماً بالقراءة عن أى خنزير فى
القرية ، ولكنه لم يحفل بالقرين ، ولا غنى بالمتابعة والاستزادة .
وإذا سئل فى ذلك قال إنه لا يجد شيئاً جديراً بأن يقرأ .
وأدركت الفرس « كلوفر » علم الأبجدية كلها ، ولكنها
ظلت العاجزة عن ربط الأحرف وبناء الكلمات .

أما الحصان « بوكسر » فلم يستطع أن يتجاوز « الدال »
وكان دأبه أن يرسم بخافره على الثرى الألف والباء والجيم
والدال ثم يقف يتأملها وهو ناشر أذنيه فى الفضاء أو باسط
معرفته ، محاولاً جهده أن يتذكر الحرف الذى يلى الدال ، فلا
يستطيع له تذكراً .

وقد حفظ فعلاً فى عدة مرات الهاء والواو والزى ولكنه ما كاد
يعرفها حتى نسى الأحرف الأولى ذاتها من الألف إلى الدال .
وبعد لأى قنع باستظهار هذه الأحرف الأربعة الأولى وجعل

يكتبها على الثرى بخافه مرة أو مرتين فى اليوم للمذاكرة والاستيعاب .

وأيت الفرس المدللة « مولى » أن تحفظ أكثر من الأحرف القليلة التى يتألف منها اسمها ، فكانت ترسمها على شكل عيدان أو قطع من العوسج ، ثم تجملها بزهرة أو زهرتين وتروح تلف حولها فى زهو بها وإعجاب .

وأما الحيوانات الأخرى فى المزرعة فلم يستطيعوا التقدم إلى ما بعد الألف .

وتبين أيضاً أن الأغبياء منهم كالأنعام والدجاج والأوز قد عجزوا عن حفظ شئ غير الوصايا السبع .

وأقبل « سنوبول » بعد تفكير طويل يقول لمعاشر الحيوانات عامة ، والأغبياء منهم خاصة ، إن هذه الوصايا يصح فى الواقع اختصارها فى بضع كلمات وهى « ذوات الأربع أخيار ، وذوات الاثنتين أشرار . . . »

ومضى يقول لهم ، هذه هى فى الحق خلاصة المبادئ التى بنطوى عليها مذهبنا الحديد ، فمن أدركها فقد أمن شر المعتدين . ولكن الطير احتجت فى بداية الأمر على هذا التلخيص ، فقد رأت أنها هى أيضاً من ذوات الاثنتين ، وعندئذ راح

سنوبول يثبت لها أن الأمر ليس كما توهمن ، قائلا إن جناح الطائر أيها الرفاق هو عضو الدفع ، لا عضو التناول والإمساك والتداول ، فيجب أن نعهده إذن بمثابة « الساق » ولا يخفى عليك أن العلامة التي يمتاز بها الإنسان هي « اليد » التي يستخدمها كسلاح للأذى وأداة للعدوان .

ولكن الأطيوار لم تفهم كلماته ، وإن قبلت تفسيره . وطفقت الحيوانات الدنيا تجتهد في حفظ الملخص الذي تطوع سنوبول به لمبادئ النظام الحديد « ذوات الأربع أخيار ، وذوات الاثنتين أشرار » . ورحن يكتبنها بحروف غلاظ على الجدار القائم في أقصى « الدوار » فوق الوصايا السبع .

وما كاد الغنم يستظهِرونها حتى فتنوا بها ، وراحوا وهم في الحقل يكثرون من الرغاء بها في نغم منظم ، ولحن رتيب ، حتى ليظلوا هكذا يرغون بإنشادها عدة ساعات بلا كلال ولا تعب . ولم يكن « نابوليون » يعنى كثيراً بلجان « سنوبول » وتشكيلاته ، وسلسلة دراساته وحلقاته ، وكان يقول إن تعليم النشء أهم من محاولة تثقيف الكبار .

وحدث أن ولدت الكلبتان « جيسى » و « بلوبل » بعد

الحصاد تسعة جراء ، ولم يكد يتم فصلها حتى أخذها نابوليون من والدتها وقال إنه سيتولى تربيتها .

وحملها إلى غرفة صغيرة في سطح الدار لا يصل أحد إليها إلا من سلم خشبي يقام على جدار مخزن السروج وظل حريصاً عليها في ذلك الموضع المنعزل حتى لم يلبث القوم أن نسوها كل النسيان .

وإذا بسر اللبن الذي كان يحتلب من ضروع البقر وأخلافها يخفى ، ثم ينكشف إذ تبين أن الخنازير جعلت تمرج به الثريد لغذائها .

وكان التفاح قد أوشك أن يطيب على شجره .

ولم تلبث الأرض من تحته أن تغطت بما يساقط منه ناضجاً طال النضج عليه وهو في الأفنان .

واعتقد الحيوانات أن التفاح السقيط ، أو طرح الريح ، سيوزع بينهم بالسواء .

ولكن صدر الأمر في ذات يوم بأن يجمع هذا التفاح الذي لم يحتاج إلى القطف ويحمل إلى مخزن السروج لينعم به الخنازير وحدهم .

وعلم القوم بذلك فبدأ فريق منهم يتبرم ويسخط ، ولكن

لم يجد العسخط نفعاً ، فقد اتفق الخنازير جميعاً على أن هذا التصرف سليم ، حتى سنوبول ونابوليون اتفقا في هذا الأمر وهما أبداً مختلفان .

وأوفد الحلوف «سكويلر» ليشرح الأمر للقوم ويفسر : قال : أيها الرفاق أرجو أن لا تحسبوا أننا معاشر الخنازير فعلنا ذلك أثرةً منا وامتيازاً واختصاصاً ، فإن فريقاً كبيراً منا لا يحب اللبن ، وآخرين لا يستطيعون التفاح ، وأنا في الواقع أحدهم ، وإنما كل غرضنا من أخذهما هو المحافظة على صحتنا ، فقد أثبت العلم الحديث أيها الرفاق أن اللبن والتفاح يحتويان على مواد ضرورية لصحة الخنازير ، ونحن نشغل بعقولنا ، ونتولى بأنفسنا إدارة المزرعة وتنظيم شئوننا ، ونحن ليل نهار الساهرون على خيركم ، العاملون على ما فيه إسعادكم ، فنحن من أجلكم «أنتم» نشرب اللبن ونقضم التفاح ، فهلا تدبرتم معاشر الرفاق ماذا يحدث لو قصرنا نحن في تأدية واجباتنا ، ألا تعلمون أن السيد جونز لا بد عائد إذا نحن عجزنا عن تدبير أمركم والمهر على رفاهيتكم ، إى والله ، إنه يومئذ لعائد . . .

وراح سكويلر يتأيل ذات اليمين وذات الشمال وهز ذيله هزاً ، ويغير من صوته ، مناشداً وهو يقول : «لا ريب في

أنه ليس فيكم من أحد يريد أن يراه عائداً .
 والواقع أنه لم يكن منهم أحد يود أن يراه راجعاً ، فلا غرو
 إذا لم يجدوا مجالا لقول ، ولا سبيلا إلى احتجاج ، فقد كانت
 ضرورة الحرص على صحة الخنازير ظاهرة واضحة لا تحتاج
 إلى جدال .

وكذلك سلم القوم بوجوب الاحتفاظ للخنازير وحدها
 باللبن الحليب والتفاح المتساقط منه والمقطوف على السواء . . .

وكاد الصيف يدنو من ختامه .
وراجت أنباء ما وقع في « مزرعة الحيوانات » في البلاد
المجاورة ، وسرت بها الأحاديث في كل ناحية .
وجعل نابوليون وسنوبول يرسلان في كل يوم أسراباً من الحمام
مزودة بتعليمات تقضى بوجوب الاختلاط بالحيوانات في
المزارع المجاورة لتتحدث إليهم عن « الثورة » وتدرّبهم على
« النشيد القومي » الحديد وتبث فيهم المبادئ والتعاليم .
وكان المستر جونز قد قضى أكثر هذا الوقت جالساً في
حانة « الليث الأحمر » بقرية ولنجدون شاكياً لظوب الأرض
ما جرى له ، متحدثاً عن خروجه بليله من المزرعة .
وقد استمع المزارعون الآخرون له ورثوا مبدئياً لحاله ،
ولكنهم لم يبدلوا له معونة كبيرة ، بل كان كل منهم في
أعماق صدره يفكر في الأمر من ناحية مصلحته ، ويسائل
نفسه ليس من سبيل إلى استغلال ما أصاب زميلهم والانتفاع
بمحنته .

ومن حسن الحظ أن المزارعين اللذين يملكان المزرعتين المجاورتين لمزرعته كانا أبدأ على خلاف مستحكم ، وفي نزاع مستمر . وكانت إحدى المزرعتين تدعى فوكسوود ، وهي ضيعة كبيرة مهملة عتيقة الطراز كثرت فيها الآكام ، وقد ذبلت منها المروج ، وصوّحت الحقول ، وتلفت المراعى من عوزها إلى المتعهد الراوى ، والمنظم الصالح الرشيد .

وكان ربها يدعى المستر بلكنجتون ، وهو رجل « على نياته » يقضى أكثر وقته فى صيد الأسماك أو الخروج للقنص ، وفقاً للموسم ، وتبعاً لفصول العام .

أما المزرعة الأخرى فكان يطلق عليها « بنشفليد » ، وهى أصغر من الأولى ، وأحسن حالا وأوفر نظاماً .

وكان صاحبها يدعى « المستر فردريك » وهو رجل شديد المراس ، قوى الشكيمة ، ذكى الخاطر ، بالغ المكر ، ينفق الأيام فى القضايا ، ويولع بالمساومات ، والدخول فى مختلف الصفقات .

وكان كل منهما يكره الآخر ويحتويه ، حتى ليصعب عليهما الاتفاسق يوماً على شئ وإن اقتضاه الدفاع عن مصالحهما الخاصة .

ولكنهما كانا مشفقين من « الثور » التي نشبت في المزرعة المجاورة ، وكلاهما في وجل مقيم من عواقبها ، وخشية بالغة من أن تصل العدوى إلى الحيوانات في مزرعته ، فتفعل كما فعلت زميلاتها في الضيعة القريبة .

وجعلا يعزيان نفسيهما بقولهما إن هذه الثور لن يعضى عليها أسبوعان حتى تخدم ، ويزول أثرها ، لأن الحيوانات فيها قد اختلفوا فيما بينهم ، وتنازعوا أمرهم ، ولن تلبث أن تفشل عصبتهن ، وتذهب ريحهن . وهم موشكون على مجاعة عامة ، ومهلكة عاجلة .

ولكن لما مضت الأيام ، ولم تقع مجاعة في مزرعة الحيوانات ، بدأ المزارعان فردريك وبلكنجتون يعيران لهجتهم ، ويتحدثان عن الجرائم والجنایات المنكرة التي فشت فيها ، ويشيعان أن الحيوانات يأكل بعضها بعضاً ، ويفترس كبارها صغارها ، ويعذب الأقوياء فيها الضعفاء بالكي والدمغ بالنار والحديد المحمى ، ويتشاركون في إنائهم ، ويعدو الأزواج على نساء البعول الآخرين ، وكل ذلك إنما جاء نتيجة التمرد على نواميس الطبيعة ، وشرائع الحياة ، وتقاليد الدنيا ونظمها وعاداتها المرعية .

ولكن هذه الإشاعات والأراجيف لم تجد المصدقين لها في كل مكان ، ولم تصادف المؤمنين ، بل بالعكس ظل الحديث عن هذه المزرعة العجيبة التي طرد الناس منها وتولت الحيوانات فيما بينهم أمورها ، وقاموا أحسن القيام على إدارتها وتدبير شئونها ، يسرى في القرى والدساكر ، ويعم المزارع والضباع ، فلم يكذب يحول الحول حتى أخذت موجة من الثورة تكتسح الريف كله وتغمر الإقليم بجملة

ولم تلبث الثيران التي كانت من قبل وديعة أن انقلبت فجأة مفترسة هائجة ، ومضت الأنعام تهدم الأسوار والسياج ، وتنفش في البرسيم ، وراحت البقر تركل بسيقانها الحجار والقذور متأيات على الحلب ، واثنت الخيل ترفض القفز من فوق الحواجز ، وترمح راكبيها وتنطلق حارثة أو هائمة على وجوهها في الحقول ، وأصبحت ألفاظ النشيد القومي الذي وضع قبيل الثورة منتشرة في كل مكان .

جرى ذلك في عجلة غريبة ، ولم يكذب الناس يسمعون ذلك النشيد الجديد حتى استولى الحنق عليهم ، وفار تنور غضبهم وإن تظاهروا بأنهم منه ساخرون ، وهم قائلون إنهم لا يفهمون كيف رضى الحيوانات التغنى بهذا الكلام السقيم وإنشاد هذا

اللحن الغث المبتذل .

وكلما وقعوا على حيوان لديهم وهو يغنى بها أو يغمغم ألبوا
بالسياط ظهره في الحال وأوجعوه ضرباً .

ووضعوا العقوبات على الذين يعرف عنهم أنهم يمتنون إلى
هذه المبادئ الهدامة ، أو يروجون لهذا المذهب المدمر .
ولكن النشيد ظل يسرى ، لا غالب له ، ولا سبيل إلى
القضاء عليه .

وإذا الطير على الأفنان تترنم به ، والحمام يهدل بلحنه هديلاً
مخافتاً ، وكادت أنغامه تختلط بأصوات المطارق على السندين
عند الحدادين ، وتمتزع بدقات النواقيس في كنائس العابدين
والمصلين .

وكلما أصغى الناس إلى أنغامه ارتعدت منهم الفرائص سرّاً ،
ووجلت خفية قلوبهم ، وأشفقوا من أن يكون نذيراً بمصيرهم
المحتوم !

وما إن حلّ شهر أكتوبر حتى تمّ جمع الغلة وحمل المحصول
إلى المخازن ، وبدأ الدرس أو أوّشك ، حتى جاء سرب من
الحمام فرف بأجنحته الخفاقة على فناء دار المزرعة ، وهو في
قلق وعجلة مروعة .

وتبين عندئذ أن المستر جونز ورجاله ، ونفراً من أهل مزرعة
فوكسوود ، وآخرين من مزرعة بنشفيلد قد اجتازوا البوابة العامة
وهم في طريقهم إلى المزرعة .

وكانوا جميعاً مسلحين بالهراوات ، خلا السيد جونز ، فقد
كان في الطليعة يحمل بندقية .

وتبين أنهم جاءوا ليستردوا المزرعة .

وكانت معاشر الحيوانات مرتقبين هذا اليوم من عهد
طويل فأعدوا له عدته ، وأخذوا له أهبته .

فقد عكف « سنوبول » بعد دراسة عدة كتب قديمة عن
حروب « يوليوس قيصر » عثر عليها في المزرعة ، على تدبير
مقتضيات الدفاع ووسائل التحصين .

فلم يلبث أن أصدر أوامره ، فلم تمض لحظات حتى كان
كل حيوان مستوياً في الموضع المعين له ، على أتم الأهبة للقاء
الغزاة المعتدين .

ولما اقترب الزاحفون من مباني المزرعة ، بادرهم سنوبول
بالهجمة الأولى .

وانطلقت الحمايم ، وهن خمس وثلاثون أو يزدن ، يملطن
فوق رؤوس القوم الغزاة ، ويسلحن عليهم من الفضاء ، وبينما

كان هؤلاء منشغلين بهذا « الزبل » الهاطل عليهم ، إذ اندفع الأوز وكان مختفياً خلف العوسج ، فجعل ينقر سيقانهم نقرًا ، ويعض أرجلهم عضًا .

وكانت هذه في البداية « مناورات » أو مجرد « مناوشات » تمهيدية ، لإحداث الفشل في الصفوف ، فلم يلبث الرجال أن تمكنوا من تشتيت الأوز بالهراوات .

وعندئذ وجه سنوبول الهجمة الثانية . . .

فإذا هو يهجم على رأس الغنم وينضم إليه الجدى والحمار ، وإذا هم ينطحون الغزاة بالقرون من كل ناحية في حين مضى بنيامين يرفسهم بمؤخره .

ولكن الغزاة أيضاً بهراوتهم ومهاميز نعالهم الطويلة لم يلبثوا أن تغلبوا عليهم ، وعندئذ ارتفعت فجأة صيحة شديدة من عقيرة « سنوبول » فكانت إيذاناً بالانسحاب ، وإذا بالحيوانات تولى الأدبار ، مسرعة نحو البوابة إلى الفناء .

وعندئذ أرسل الغزاة صيحة مدوية من الفرح بالانتصار فقد لاح لهم من فرار العدو أنهم قد أصابوا الغلبة عليه ، وانطلقوا في أثره منتشرين موزعين .

وهذا ما كان سنوبول يرتقبه من الانسحاب .

فلم يكد الفناء يحصر المهاجمين ، حتى خرج الأحصنة الثلاثة ، والأبقار الثلاث ، ومعاشر الخنازير والحلاليف ، من الكمين الذى نصبوه تحت السقيفة ، فهاجمهم من المؤخرة ، وانقضوا عليهم من خلاف ، وأصدر سنوبول « الإشارة » بالهجوم ، ومضى هو بنفسه يهجم على جونز رأساً ، ولكن هذا بصر به وهو مندفع صوبه ، فرفع بندقيته وأطلق النار ، وإذا بالقذائف تحدث جروحاً دامية فى ظهره ، وتصيب إحداها كبشاً فيخر صريعاً يتشحط فى دمه ، ولكن سنوبول لم يتردد لحظة واحدة فى إلقاء نفسه بكل ثقله على ساقى جونز ليجندله ، وإذا بالرجل يسقط فوق كومة من « السباح » كانت قائمة خلفه ، وإذا بالبندقية تمزق من كفه .

ولكن المشهد الرهيب المروع كان منظر الحصان « بوكسر » فقد ذهب فى خطفة البرق يرتكز على مؤخره ، ويضرب بحافريه الأماميين ضربات سريعة موجعة ، وكانت الضربة الأولى قد أصابت رجلاً من أهل ضيعة « فوكسوود » فكسرت جمجمته وألقته على الثرى صريعاً خامد الأنفاس .

وعلى المشهد ألقى فريق من المهاجمين المراوات من أيديهم وحاولوا الفرار .

وما لبث الفزع أن استولى على الجميع فانطلقوا هاربين .
وما هى إلا لحظة أخرى حتى كان الحيوانات فى أثرهم
مطاردين وهم يدورون فى الفناء ، ويوسعونهم ركلا وعضاً
ودوساً بالأقدام فلم يبق منهم أحد إلا أخذ ثأره من الغزاة على
طريقته ، وجهد قواه ، حتى القطعة ذاتها لم تلبث فجأة أن
قفزت من فوق سطح على كتف رجل منهم فراحت تغيب
أظافرها فى عنقه ، وجعلته يصرخ صراخاً مروعاً من فرط
الألم .

وتحين الغزاة لحظة هدوء وسط المعركة الناشبة ، فاندفعوا
نحو باب الفناء يطلبون الطريق العام .

وهكذا لم تنقضى دقائق معدودات حتى كان نصيبهم
الهزيمة النكراء ، فعادوا من حيث أتوا ، وفى أثرهم سرب من
الأوز يتعقبهم ويعض سيقانهم عضاً .

وقد تراجع القوم على هذه الصورة ، خلا واحداً ، لبث
مجنوناً ، والحصان « بوكسر » قائم على رأسه ، يحاول بحافره
قلبه على ظهره ، وكان قد سقط مكباً على وجهه .

ولكن الرجل ظل جامداً لا حراك به .
وأنشأ بوكسر يقول بحزن : « لقد مات ، وما كنت أريد

أن أفعل ذلك به ، فقد نسيت الحديد التي تكسو حافري ،
ولكن من ذا الذي سيصدق أنني ما فعلت هذا عن عمد ؟؟ »
فصاح به سنوبول وكان الدم لا يزال يقطر من جروحه :
« حسبك أيها الرفيق ، ولا تنشق مع عواطفك ، إن الحرب
هي الحرب ، وما قتلت يا صاح غير إنسان ، والإنسان لك
عدو مبين . »

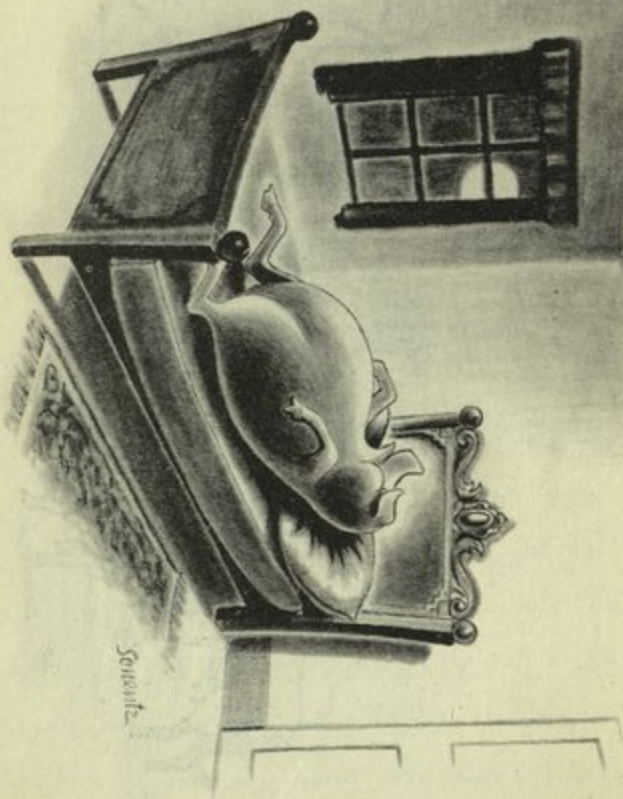
فقال بوكسر والعبرات تفيض من عينيه : « لا أريد أن أنتزع
حياة أحد ، حتى ولو كان إنساناً . . . » .

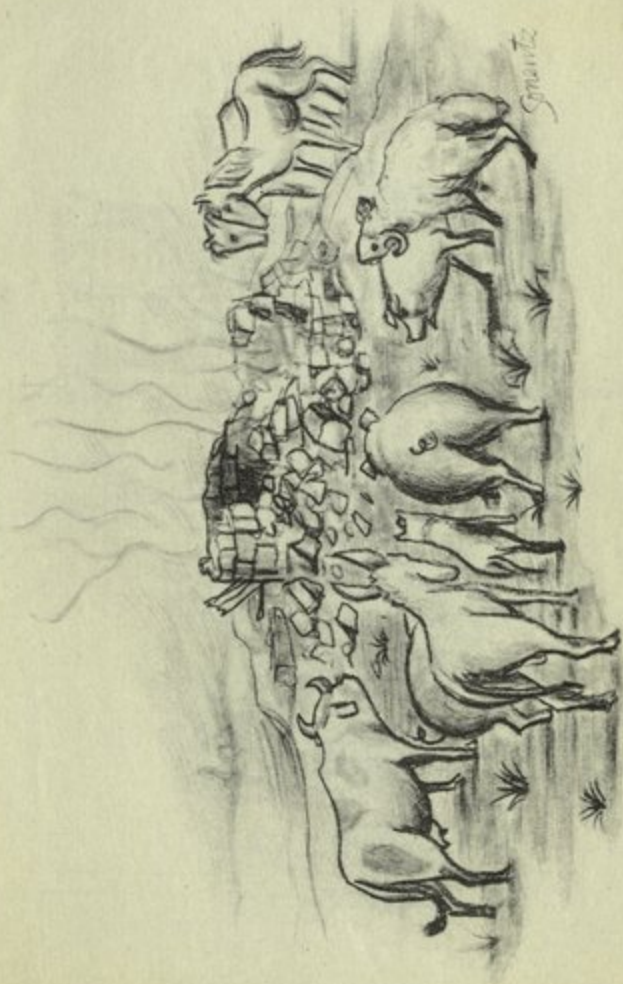
وصاح أحدهم يقول : وأين موللي . . . ؟ ؟
ولم تكن الفرس عن كتب ، ولا عرف أحد أين ذهبت ،
فلم يلبث القلق أن اشتد عليها ، وخيف أن يكون الغزاة قد
أصابوها بأذى ، أو اختطفوها اختطافاً .

ولكنهم بعد البحث وجدوها مختفية في مربوطها دافنة رأسها
في تبن « المزود » .

وتبين أنها التمسست الفرار حين سمعت دوى الرصاص .
ولما عاد القوم من البحث عنها ، والاهتداء إليها ، لم يجدوا
الرجل الذي كان مجندلاً ، وظن أنه ذهب في الهالكين ،
فقد كان في غشية ، فلما أفاق لاذ بأذيال الفرار ناجياً . . .

« بل مضوا ينامون على السرير » ص ٩٧





« فوققوا ينظرون الى الانقراض المتراكمة واجمين معزولين » ص ١٠٢

وكان الحيوانات قد عادوا إلى الاجتماع ، وهم في أشد
 الحماسة والهياج ، وراح كل منهم يعدد فعاله الجسام في
 المعركة بأعلى صوته ، ويبين آيات شجاعته وبطولته .
 وأقاموا في الحال حفلة ابتهاج بالنصر ، وكانت حفلة
 مرتجلة عاجلة .

ونصب العلم على السارية وأنشد النشيد القومي الذي وضع
 تحية للثورة .

وتلا الاحتفال بالنصر تشييع جنازة الكبش الذي استشهد
 في القتال .

وغرست شجرة عضاء فوق مقبرته .

ووقف سنوبول على القبر يخطب مؤكداً وجوب التعاهد على
 الموت في سبيل الدفاع عن المزرعة إذا اقتضى الحال .
 وقرر الحيوانات بالإجماع إنشاء أوسمة عسكرية .

ولم تمض لحظات حتى اجتمع الرأي على إصدار وسام
 يطلق عليه وسام البطولة من الدرجة الأولى ، والإنعام به في
 الحال على سنوبول وبوكسر ، وهو وسام مؤلف من « مدالية »
 نحاسية صنعت من النحاس القديم الذي وجد في مخزن السروج
 والأطقمة ، وصدر الأمر بتحديد مراسم التحلى به ، وفي أيام

الآحاد والمواسم والأعياد .

وصنع وسام آخر أطلق عليه وسام البطولة من الدرجة الثانية ،
وتقرر الإنعام به على الكباش الشهيد . . . !
وجرى نقاش طويل حول الاسم الذى يصح أن يطلق على
المعركة .

وانتهى الجدل إلى القول بتسميتها « معركة السقيفة » لأنها
الموضع الذى دبر الكمن فيه .

وعثروا على بندقية المستر جونز ملقاة فى الطين ، وكان القوم
يعرفون أن فى المزرعة خراطيش ملأى بالطلقات ، فقرروا أن
تقام البندقية عند أسفل السارية ، كأنها رمز للمدفعية ،
وإطلاقها مرتين فى العام ، مرة فى ١٢ أكتوبر ذكرى « معركة
السقيفة » ومرة فى ٢٦ يونية ذكرى « الثورة العامة » .

وعلى مقرب الشتاء بدأت «موللى» تكثر من إحداث المتاعب وتتأخر فى كل يوم عن الذهاب إلى العمل معتذرة بأن النوم سرقها وتشكو آلاماً غير معروفة ، وأوجاعاً غير ظاهرة ، وإن ظل إقبالها على الطعام شديداً ، وشهوتها إلى العلف حادة .

وكثيراً ما كانت تتعلل بمختلف المعاذير لتهرب من العمل وتذهب إلى التربة فتقف على الضفة تنظف إلى وجهها فى صفحة الماء .

ولكن لم تلبث أن راجت إشاعات أخرى حولها .
ففى ذات يوم وهى تخطر فى الفناء متدلة ، مرسله معرفتها فى زهو وخيلاء ، دلفت الفرس الأخرى «كلوفر» إليها فوقفت بجانبها وأنشأت تتحدث إليها .

قالت : اسمعى يا موللى ، إن لدى شيئاً خطيراً أريد أن أفضى إليك به . . . لقد رأيتك فى هذا الصباح تطلين برأسك من فوق السياج الذى يفصل هذه المزرعة من مزرعة فوكسود .

وأبصرت رجلاً من عمال المستر بلكنجتون واقفاً على الجانب الآخر منه ، وكنت عنكما بمنأى ، ولكنى على يقين مما شهدته . . . لقد رأيت ذلك الرجل يتحدث إليك ، وبصرت بك وأنت تسمحين له بأن يربت بيده على أنفك ملاطفاً . فخطبك يا مولى وما سر هذا الذى كان منك . . . ؟ ؟ فصاحت بها وهى تنهذى وتضرب الأرض بحافرها : « هذا ليس صحيحاً . . . إننى لم أفعل ذلك » .

قالت : أى مولى ! ضعى عينك فى عيني ، وأقسمى لى ألم يكن ذلك الرجل يربت على أنفك ؟ ؟ فعادت تقول : « كلا . ليس هذا صحيحاً . . . »

ولكنها لم تجرؤ على النظر فى وجه صاحبها ، بل انطلقت تعدو إلى الحقل هاربة .

ووقفت « كلوفر » لحظة تفكر ملياً ، وإذا بخاطر جديد يدور فى رأسها ، فانطلقت فى صمت إلى مربط « مولى » ، وجعلت تقلب التبن رأساً على عقب بحافرها ، وإذا بها تكشف من تحته عن كومة صغيرة من قطع السكر وعدة أشرطة مختلفة الألوان .

وما لبث مولى بعد ثلاثة أيام أن اختفت .

وانقضت أسابيع ولا يعرف القوم أين ذهبت ، ولكن الحمامات جاءت تقول إنها قد رأتها في مزرعة بلكنجتون المجاورة ، وكانت مشدودة إلى « دوكار » جميل طلى ظاهره بالأحمر والأسود ، وكان واقفا بباب إحدى الحانات ، وعن كثر منها بدا رجل ضخم البدن أحمر الوجه ، وهو يرتب على أنفها ويلقمها سكرًا .

وكان غطاء ظهرها جديداً ، وقد انعقد شريط قرمزي اللون حول معرفتها ، وهي تلوح فرحة بنفسها راضية عن عيشها الجديد .

ومن ذلك الحين لم يكن أحد من الحيوانات يورد ذكر موللي على لسانه أو يذكرها بخير أبداً . . .

وحل شهر يناير ، فانقلب الجو فيه ، وجمدت الأرض وانقطع العمل في الحقل .

وانعقدت عدة جلسات في الجرن الكبير وعكفت الخنازير على وضع الخطط للعمل في الموسم القادم .

وظهر أن الحيوانات قد سلموا جميعاً بأن الخنازير الخذاق البراعة هم الذين يتولون دراسة السياسة العامة ويقررون ما يروونه بسبيلها ، وإن احتاج الأمر إلى عرض قراراتهم على الجمعية

العامه ، فلا يصح العمل بها إلا إذا وافقت الأغلبية عليها .
 وكان هذا التدبير ممكناً أن يصح ويطرد السير عليه ، لو لم يقع
 النزاع أبداً بين نابولون وسنوبول ، فقد كانا يختلفان على كل
 أمر يصح فيه الخلاف ، فإذا اقترح أحدهما التوسع في زراعة
 الشعير ، انبرى الآخر يطلب زيادة المساحة المخصصة لزراعة
 « الشوفان » ، وإذا قال الأول إن هذا الغيط أصح ما يكون
 لزراعة الكرنب ، اعترض الثاني قائلاً إنه لا يصلح إلا لزراعة
 الجزر ، أو البنجر . . . !

وكان لكل منهما أنصاره ومريدوه . .
 وكانت المناقشات غالباً حامية ، والجدل عنيفاً مستعر
 الأوار .

ولكن سنوبول كان في الجمعية العامة يكسب الأغلبية
 بخطبه الرنانة ، وبياناته البارعة ، وإن كان نابوليون أحق منه
 في فنون المناورات ، والظفر بالمريدين في الفينة بعد الفينة ،
 وكان المحبوب من الغنم خاصة .

وكان الغنم في الأيام الأخيرة قد أولعوا بإنشاد اللحن المختصر
 « ذوات الأربع أخيار ، وذوات الاثنتين أشرار » حتى ليرددوه مراراً
 كلما قام سنوبول ليخطب الجمع ، تهوياً ومقاطعة وتهانفاً به .

وكان سنوبول قد عثر في الدار على أعداد قديمة من مجلة زراعية اقتصادية تكثر من إيراد المناهج ودراسة الخطط للتجديد والابتكار والابتداع ، فأقبل على قراءتها حتى عرف من شئون الزراعة الشيء الكثير ، ومضى يتحدث عن علم في مختلف الموضوعات ، كالري والصرف والتسميد وصناعة « الأسبكية » العضوية ، وانتهى من دراسته إلى وضع مشروع يرمي إلى توفير الجهد الذي يبذل في نقل الروث وهو أن يخرج الحيوانات إلى التبرز في الحقل ، وينقلوا من موضع فيه إلى آخر ، يوماً بعد يوم ، حتى يجتمع السباخ من فضلاتها في كل ناحية من الغيط .

وعجز نابوليون عن معارضة هذا الاقتراح بشيء طريف من عنده فذهب يقول إن اقتراح سنوبول سوف لا يجدي ، وإنه يمهل الحيوانات حتى يروا فشله رأى العين على مرّ الأيام . ولكن لا نحسب الخلاف اشتد بينهما على أمر اشتداده على بناء « الطاحون » .

فقد كانت تقوم وسط المروج ربوة صغيرة تشرف على السهول المترامية من حولها ، وكان سنوبول قد ذهب لمسحها ومعاينتها ، ثم عاد يعلن أنها أفضل بقعة لبناء طاحون عليها

وتركيب « محرك » لإمداد المزرعة بالقوى الكهربائية ، حتى
تيسر إضاءة المرباط وتدفئتها في الشتاء وإدارة منشار كهربائي
ومدراس للغلال ومحش للبرسيم والقش وآلات لحلب الماشية .
ولم يكن الحيوانات قد سمعوا بشيء كهذا من قبل فقد
كانت المزرعة قديمة ولا تحوى غير الآلات العتيقة ، فظلوا
يستمعون إليه في دهشة بالغة وهو يصور لهم أعجب الأجهزة
وأغرب الآلات ، ويقول لهم إنها ستتولى العمل عنهم ، فلا
يبقى عليهم غير الرعاية في الحقول والإكباب على القراءة
والاستزادة من العلوم .

ولم تنقص بضعة أسابيع حتى أتم سنوبول وضع التفاصيل
والدقائق المتصلة بالمشروع .

وقد رجع فيها ، أو في أكثرها ، إلى ثلاثة كتب وحدها في
دار جونز ، أحدها يدعى « ألف فائدة منزلية » والثاني عنوانه
« كيف تبني دارك بنفسك » والثالث « بسائط في علم
الكهرباء » .

واتخذ سنوبول لدراسته مكاناً أشبه بسقيفة صغيرة كانت
تستخدم من قبل للتفريخ ، ولها أرضية خشبية ناعمة تصلح
للرسم عليها .

فكان ينكمش في العمل بها عدة ساعات ، ناشراً كتيبه بين يديه ، وممسكاً بقطعة من الطباشير ، ليرسم بها الخطوط ، وهو يهتمهم في حماسة صادقة للعمل .

وما لبثت الخطط أن تحولت بالتنفيذ إلى كتل من الآلات الرافعة والعجلات والأجهزة الدقيقة حتى كادت تشغل نصف مساحة السقيفة أو يزيد .

وكان الحيوانات يقفون بها أحياناً مشدوهين لا يدرون من أمرها شيئاً وإن كان أثرها فيهم بالغاً .

ولم يبق فيهم أحد لم يأت لمشاهدتها ، حتى الدجاج والأوز جاوا يتأملونها ، وهم في حذر شديد من أن تطأ أرجلهم الخطوط المرسومة بالطباشير فتذهب بمعاملها الظاهرة .

أما نابوليون فقد لبث عنها بمعزل .

وكان قد أعلن من البداية أنه ضد بناء الطاحون ولكنه جاء في ذات يوم فجأة ليفحص الخطط والتصميمات وظل يمشي متاقلاً حول السقيفة ، مطالاً على كل دقيقة من المشروع وهو يرفع أنفه أحياناً سخرية منها واستهزاء بها ، وانتهى به المطاف حولها إلى وقفة طويلة وهو ينظر إليها من طرف عينه ، وإذا به يرفع إحدى قوائمه ويسلح عليها ، ثم ينطلق صامتا

لا يقول شيئاً .

وانقسم أهل الضيعة في أمر الطاحون فريقين .
ولم يفكر سنوبول أن بناءه سيكون مهمة شاقة عسيرة لأنه
سيتطلب قلع الأحجار من المقالع وبناءة جدران وإقامة
أجنحة ، وإنشاء محركات وأسلاك « وكابلات » ، ولم يكن
أحد يدري من أين له بتلك كلها ، ولكنه كان يصرح للقوم
بأن إعدادها سوف يستغرق عاماً كاملاً ، وأن إقامتها ستغني
الحيوانات مع ذلك عن الجهد الذي يبذلونه في المزرعة ،
فلا يحتاجون بعد اليوم إلى العمل أكثر من ثلاثة أيام في
الأسبوع .

وكان نابوليون في معارضته للمشروع يحتاج بأن الحاجة
الكبرى في الظروف الحاضرة هي زيادة الإنتاج الغذائي وأنهم
سوف يموتون جوعاً إذا أنفقوا الأيام سدى في مشروع الطاحون
وبنائه .

واختلف القوم بين هذين الزعيمين ، فقام منهم حزب
ينادى بتأييد سنوبول و « مشروع أيام العمل الثلاثة » ،
وانبرى آخر يقول بمظاهرة نابوليون وتنمية الإنتاج الزراعى .
وكان الحمار « بنيامين » هو الحيوان الأوحده الذي لم ينحز

إلى هذا الحزب أو ذاك .

فقد أبى أن يصدق أن الأغذية ستصبح أوفر وأكثر ،
ورفض أن يعتقد أن بناء الطاحون سيكون وسيلة للاقتصاد في
الجهد والعمل .

ومضى يقول : « سواء بنى الطاحون أم لم يبنَ ، ستمضى الحياة
بنا كما كان دأبها أن تمضى ... سيئة لا تخرقها ولا رجاء منها .
وبغض النظر عن ذلك الخلاف القائم حول الطاحون ،
كانت هناك أيضا مسألة الدفاع الداخلى ضد الغزو والعدوان .
فقد أدرك الجميع حق الإدراك أنه من الجائز أن يحاول
الآدميون الغزو مرة أخرى ، وإن انهزموا أول مرة وردوا على
أعقابهم مدحورين ، فن يدري لعلهم في المرة التالية مستعبدون
الضيعة رادون صاحبها القديم إليها .

وكانت حججهم في ذلك أن أنباء الهزيمة الأولى شاعت في
البلاد كلها فهاجت لها الحيوانات في القرى والضيايع ، وبات
محتملاً أن يحاول الناس الغلبة على هذه الحركة الجديدة ،
وتشديد العزم على إبادة هذه الروح الهدامة الطارئة .
ولكن نابويون وسنوبول اختلفا أيضاً في مسائل الدفاع
والتحصين .

فكان رأى نابوليون أن لا غناء للحيوانات عن الأسلحة النارية
أولاً والشروع بعدئذ في التدريب على حملها واستخدامها في حين
مضى سنوبول يقول بوجوب لإكثار من إيفاد الحمايم لبث
بذور الثورة بين الحيوانات في كل ضيعة ومزرعة .

وكان الأول يؤيد رأيه بقوله إنهم مهزومون لا محالة إذا هم
عجزوا عن الدفاع ، وراح الآخر يحتج بأنه إذا انتشرت الثورة
في كل مكان فيومئذ لا يحتاج الأمر إلى الدفاع عن مزرعتهم ،
ما دامت الحيوانات في العالم كله نائرة بمبادئها الجديدة على
النظام القديم .

وأصغى الحيوانات أولاً إلى نابوليون ، ثم استمعوا بعده إلى
سنوبول ، ولكنهم لم يتبينوا أى الرايين أرجح .
والواقع أنهم كانوا في كل مرة يقرون الخطيب الذى يتحدث
إليهم ، فإذا استمعوا إلى الآخر أقرروه أيضاً ، وظلوا بين
الرايين حيارى تأهين . . . !

وجاء أخيراً اليوم الذى أتم فيه سنوبول خططه ، واستكمل
دراسة مشروعه ، وتهيئة وسائله ومطالبه ، وتقرر أن يؤخذ رأى
خلال الاجتماع التالى الذى سيعقد يوم الأحد من الأسبوع
القادم فيما إذا كان يصح البدء بالتنفيذ أم لا . . .

وحل يوم الأحد ، وتقاطر القوم على الاجتماع في ساحة
الجرن الكبير ونهض سنوبول وسط رغاء الغنم للتهويش عليه ،
ومقاطعته ، فبسط الأسباب التي تقتضى بناء الطاحون .
ووقف على أثره نابوليون لتفنيدها .

فقال بكل هدوء : إن بناءها فكرة سقيمة وضرب من الهراء
وإنه ينصح القوم بأن لا يقرؤه عليها .

وجلس مكانه ولم تستغرق خطبته لحظات وهو غير مكترث
بما قد يكون لها من الأثر في نفوس مستمعيه .

وعندئذ انبرى سنوبول مستوياً على ساقيه وزعق زعقة
شديدة في جماعة الغنم ليسكتهم عن المقاطعة والتهويش ، وانطلق
في حماسة متقدة يناشد القوم إقرار مشروع الطاحون .

وكان الحيوانات إلى تلك اللحظة منقسمين على أنفسهم في
أمرها ، ولكن لم تلبث بلاغة « سنوبول » أن فتنهم بسحرها
الخلاب ، فقد مضى بعباراته البراقة وقوله المبين يصور لهم
المستقبل في أزهى الصور ، ويعدهم أجمل الوعود ، ويرسم
لهم الحياة القادمة في أروع الرسوم ، مبيناً لهم كيف سترفع
عن ظهورهم الأعمال الشاقة التي أنقضتها ، وتبهيء لهم
عيشاً ليناً رغداً .

ولم يعد خياله الباهر يقف عند حدود المناجل والمدارس
والحاش ، بل مضى يقول لهم إن الكهرباء ستغنيهم عن أولئك
كلها ، لأنها هي التي ستتولى الدرس والحرف والتقصيب
والتخطيط ولحنى « والتشوين » وما إليها ، وهي التي ستزود
كل مرتبط بالأنوار والمياه الساخنة والباردة والمدافئ التي تزيل
القر وتذهب بزمهرير الشتاء .

وما إن أتم خطبته البليغة ، حتى لم يبق شك في أن الاقتراع
سيكون جميعاً في صفه . والآراء ستجتمع على تأييده .
ولكن نابوليون نهض في تلك اللحظة فنظر إلى سنوبول شزراً
وأرسل زعقة غريبة لم يسمع أحد مثلها منه قبل الآن .
وإذا بنباح شديد مروع ينطلق من الخارج ، وإذا بتسعة
كلاب ضخمة مطوقة الأعناق بأطواق نحاسية ، قد وثبت
إلى الجرن في قفزة واحدة .

وانطلقت صوب « سنوبول » ، ولولا أنه طفر من موضعه
في مثل خطفة البرق يلتمس الفرار من أنيابها الحداد ،
لهجمت عليه ومزقته تمزيقاً .
وفي لحظة بلغ الباب ، والكلاب في أثره .
وذهل الحيوانات وتبلاها الرعب ، فازدحمت بالباب لتشهد المطاردة .

وكان سنوبول يعدو عبر الحقول المؤدية إلى الطريق العام ، ولكنه كان دون الكلاب سرعة ، لأنه من معاشر الخنازير ، وهي لا تعدو عدو الكلاب المارقة ، فلا عجب إذا هي لم تلبث أن لحقت به ، ودنت من أعقابه ، وعندئذ تعثر فجأة في عدوه ، ولم يبق شك في أنها الظافرة به ، ولكنه ما لبث أن استوى من عثرته ، وراح يعدو أشد من قبل ، وإذا بالكلاب تلاحقه ، وكادت أنياب أحدها تطبق على ذيله لولا أن انتزعه انتزاعاً ، ومضى عادياً ، يحاول الخلاص منها جاهدًا ، حتى أمى على ثغرة في السياج ففرق منها وتوارى بالحجاب ... أما معاشر الحيوانات فقد تسللت إلى الجرن في صمت بالغ ، ووجل شديد .

ولم تمض لحظة حتى عادت الكلاب أدراجها . ولم يستطع أحد في الجمع لأول وهلة أن يتصور من أين أتت تلك الكلاب الضارية . ولكن لم تلبث المشكلة أن حلت .

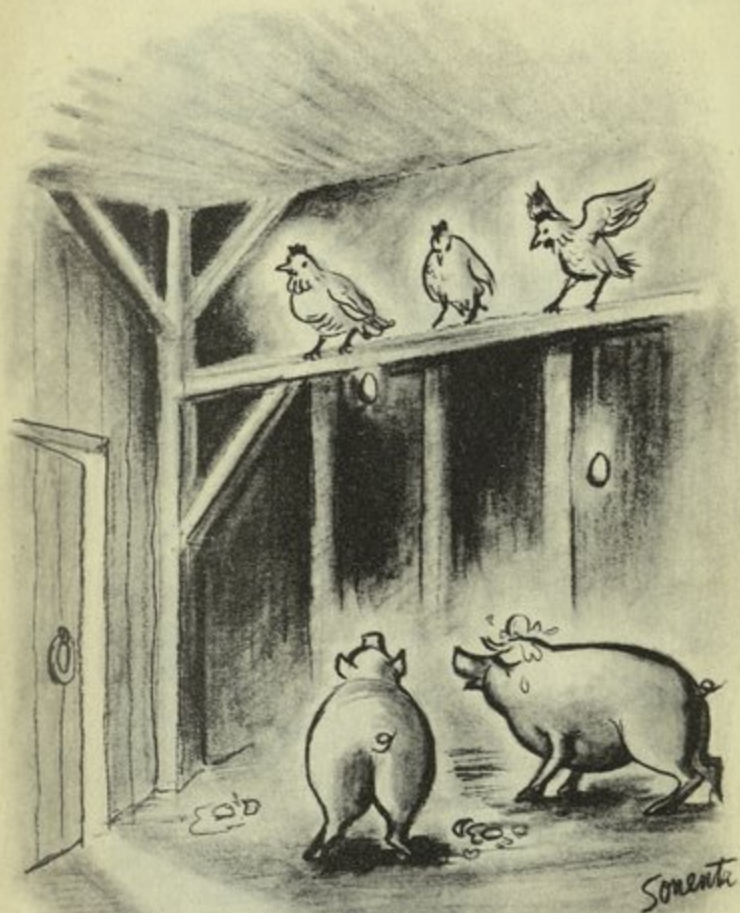
وعرف القوم أن هذه الكلاب هي بذاتها تلك الجراء الصغيرة التي كان نابوليون قد انتزعها من والدتها وتولى تربيتها بنفسه ، وتعهدها برعايته .

ولم تكن قد بلغت كمال نضجها ، ولكنها كانت ضخمة
الجسوم ، ضاريات كالذئاب ، وقد ظلت بجانب نابوليون
لا تكاد تفارقه ، وهي تبصص بأذنانها له كما كانت تفعل
الكلاب الأخرى للمستتر جونز .

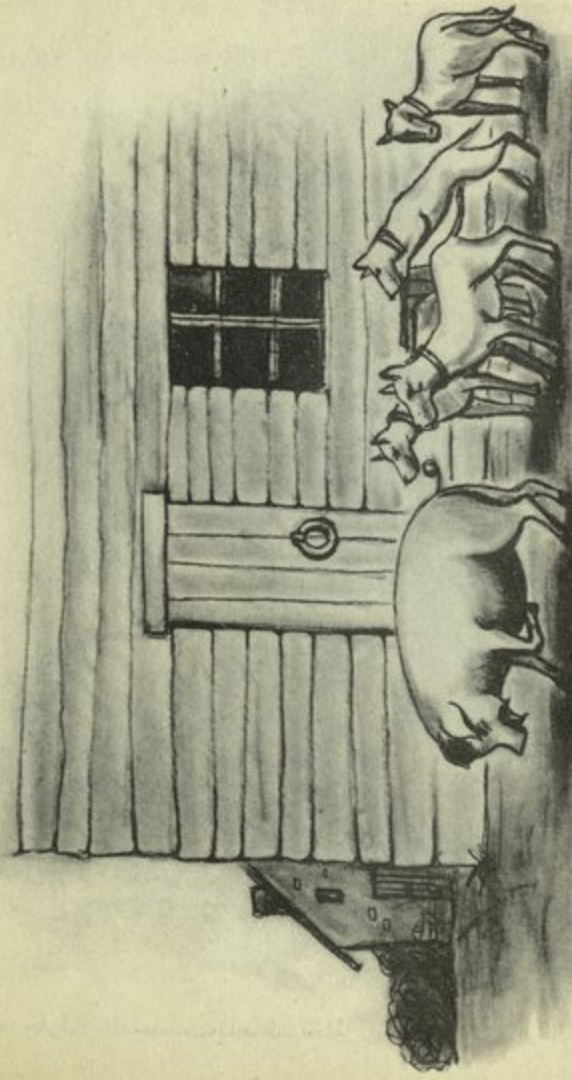
ونهض نابوليون ، والكلاب في أثره ، فاستوى على
« المصطبة » التي شهدت الحلوف الأكبر وهو يقوم من قبل
فوقها خطيباً ، وراح يعلن أن اجتماعات الأحد ستلغى إذ لا
ضرورة تدعو إليها ، بل هي مضيعة للوقت . وأن مختلف
المسائل المتعلقة بشئون المزرعة ستعرض في المستقبل على لجنة
خاصة من الخنازير انظرها ، وأنه سيتولى بنفسه رياستها .

وقال إن اجتماعاتها ستكون خاصة ، وستدع قراراتها عقب
ارفضاضها ، وإن الحيوانات لا تعقد اجتماعاً عاماً في يوم
الأحد من كل أسبوع إلا لإنشاد النشيد القومي وتلقى برامج
الأسبوع والأعمال المطلوبة فيه ، ولكنها لن تجري مناقشات
مطلقاً .

وبهت معاشر الحيوانات لما سمعوا ، رغم الصدمة التي
شعروا بها من طرد سنوبول وإخراجه من المزرعة على تلك
الصورة ، وهم فريق كبير منهم بأن يحتجوا لولا أن أعوزتهم



« حاولت الدجاجات احباط خطة نابوليون وافساد الامر عليه »



« وقرر نابوليون وجوب اجراء تحقيق فى مسألة حركات سنوبل وتسلااته » ص ١١٢

الحجج الصحيحة ، والبيانات الدامغة .

وليث الحصان « بوكسر » في مكانه منزعجاً مبهوتاً
حائراً ، ناشراً أذنيه ، هازأ معرفته عدة مرات ، محاولاً استجماع
أفكاره المشتتة ، ولكنه في النهاية لم يجد شيئاً يقوله .

ولكن بعض الخنازير كانوا أقدر منه على الإفصاح ،
فانبرى أربعة حلاليف من الشباب في الصف الأول يرسلون
صيححات امتعاض واحتجاج ، ونهضوا معاً للكلام دفعة واحدة ،
وإذا بالكلاب المقعية من حول نابوليون تهتمهم همهمة التهديد
فوقف الحلاليف عن القول وعادوا إلى مجالسهم واجمين .

وتصدت الغنم لترديد نغماتها المألوفة : « كل ذوات الأربع
أخيار . . . » وظلت ترفع أصواتها بها طويلاً فحالت بين
الراغبين في الكلام .

وانفض الاجتماع في سكون .

وجاء « سكويار » بعد ذلك يطوف بمعاشر الحيوانات في

المزرعة ليشرح لهم التدابير الجديدة .

قال : يا معشر الرفاق ، إنى لأرجو أن يكون كل منكم
مقدراً حق التقدير هذه التضحية التي أبدأها نابوليون بتولييه
هذا العمل الإضافي بنفسه ، ولا يتوهم أحدكم أيها الرفاق أن

الزعامة لهو ولعب ، بل هي في الحق عبء فادح ، وتبعة بالغة ، وما أحسب أحداً قد بلغ إيمانه بالمساواة مبلغ إيمان نابوليون وكان أولى به أن يغني نفسه عن هذا العناء الذي رضي به طائعاً ، وما أحسب شيئاً أحب إلى صدره من أن تكونوا أحراراً تقرررون بأنفسكم ما تشاءون ، ولكنكم قد تخطئون أحياناً أيها الرفاق ، وقد يغم عليكم وجه الحق فيما ترون ، ومن يدرينا إذا أنتم أخطأتم يوماً ماذا سيكون مصيرنا جميعاً ، تصوروا مثلاً أنكم قررتم تأييد سنوبول في مشروعه الخيالي بسبيل بناء الطاحون ، ومن هو سنوبول ، وماذا تعرفون عنه ، إنه مجرم أثيم ، وأخو سوء ونكر... وعندئذ انبرى أحدهم يقول : لقد أبلى أحسن البلاء في معركة « السقيفة » . فصاح به سكويلر يقول : إن الشجاعة لا تكفي ، وما من شك في أن الولاء والطاعة أهم وأخطر شأنًا ، أما حديث معركة السقيفة ، فلإني على يقين أنه سيأتي يوم تتبينون جميعاً فيه أن سلوك سنوبول كان مبالغاً فيه كثيراً... أيها الرفاق عليكم التمسك بالنظام... نعم ، النظام الحديدي ، والطاعة المطلقة ، إى والله ، الطاعة المطلقة ، فلتكن هذه الكلمة شعارنا اليوم ورمزنا ، لأن خطوة خاطئة تزل بها أقدامنا ، كافية لانقضاء الأعداء علينا ، ولست أشك يا معشر الحيوانات

أنكم لا تريدون أن يعود إلى جوفز المزرعة . . .
وبدت هذه الحجة مسكتة ، وفصل الخطاب ، فإن الحيوانات
لم تكن تريد أن يعود جوفز بلا شك ، وإذا كانت اجتماعات
الأحد ومناقشاته ستعيده ، فلا بأس من وقفها ولا ضير من
تعطيلها .

وفي هذه اللحظة كان الحصان بوكسر قد فكر ملياً في
الأمر وفهم المراد كل الفهم ، ففضى يعبر عن الشعور العام
بقوله : « إذا قال نابوليون شيئاً فصدقوه ، لأن القول ما قاله .. »
ومن الساعة جعل بوكسر شعاره « نابوليون على حق » بجانب
ذلك الشعار القديم الذي ألفناه منه وهو « سأضعف الجهد .. »
وكان الربيع قد حل يومئذ وبدأ الحرث .

وكانت السقيفة الصغيرة التي اعتاد سنوبول العمل فيها قد
أغلقت ، وذهب الظن بالقوم إلى أن الرسوم والتخطيطات التي
كانت على أرضيتها الخشبية قد محيت محواً .

وجعل الحيوانات في صبيحة كل أحد يجتمعون في الجرن
الكبير ليتلقوا البرامج والإرشادات .

وكانت جمجمة الحلوفا الأكبر - الميجور - قد أخرجت
من مثواها تحت الثرى في طرف البستان ، فعلمت على قطعة

من الخشب بجانب سارية العلم والبندقية « الأثرية » .
 وصدر الأمر إلى القوم بوجوب السير صفوفاً قبالة الجمجمة
 في اجتماع الأحد بعد رفع العلم ، والتقدم في خشوع واحترام ،
 قبل الاصطفاف في ساحة الجرن .

وطراً تعديل جديد على أماكنهم في الاجتماع ، فلم يعودوا
 يجلسون كما كانوا يفعلون من قبل .

ويقضى هذا التعديل بأن يجلس نابوليون وسكوبلر ،
 وحلوف آخر يدعى « مينيموس » اشتهر ببراعته في وضع الأغاني
 ونظم الأشعار ، أمام المنصة المرتفعة ، في صدر المكان ، تحيط
 بهم الكلاب التسعة في شكل شبه دائرة وأن يتخذ الخنازير
 الآخرون خلف أولئك صفوفاً متراصة .

أما بقية الحيوانات فقد قيل لهم أن يجلسوا قبالة معاصر الخنازير
 في بؤهة الجرن وصحنه .

فإذا اكتمل عقدهم ، قرأ نابوليون « الأوامر » عليهم في
 لهجة عسكرية خشنة ، ثم ينشد الجميع النشيد القومي ،
 وينصرفون متفرقين .

وقد عجب القوم بعد الاجتماع الثالث الذي انعقد منذ طرد
 سنوبول من المزرعة حين سمعوا نابوليون يعلن أن الطاحون سوف

يقام ، دون أن يبدي سبباً لهذا التغير الذى طرأ على تفكيره
وانما اكتفى بتنبيه الأذهان إلى العمل الشاق الذى يراد منهم
عمله فى سبيل تنفيذ المشروع ، قائلاً إنه قد يردى أيضاً إلى
إنقاص مقادير الأغذية التى تصرف لهم .

وكانت الخطط والتصميمات مهيأة جاهزة ، تشمل كل
صغيرة وكبيرة ، بعد أن تولت دراستها لجنة خاصة من الخنازير
منذ ثلاثة أسابيع .

وقيل إن بناء الطاحون وإحداث مختلف وسائل التحسين
سيستغرقان عامين كاملين .

وجاء « سكويلر » فى مساء ذلك اليوم ليشرح لهم ما لم
يكونوا مدركيه ، فقال إن نابوليون لم يعترض فى الواقع يوماً
على بناء الطاحون ، بل لقد كان هو فعلاً أول من أيدته فى
بداية الأمر وأكبر مناصريه ، وإن الرسوم والتصميمات التى
رسمها سنوبول على أرض السقيفة كانت مسروقة من أوراق
نابوليون ومذكراته الخاصة ، فهو إذن المبتكر ، والطاحون إذن
من خالص ابتداعه ، ومخض تفكيره .

فسأل أحدهم : ولماذا كان يحمل إذن على المشروع ويعارضه ؟
وهنا عمد سكويلر إلى الابتسام ، واصطنع الاستخفاف

بالسائل وسؤاله ، وانثنى يقول لقد كان ذلك من الرفيق نابوليون
مكرراً وخداعاً ، فقد عارض بناء الطاحون « كمنورة » للتخلص
من سنوبول ، لأنه كان شخصاً خطراً ، وصاحب نفوذ سيئ ،
وأما الآن وقد تخلصنا منه ، فقد خلا لنا وجه العمل دون تدخله
فيه ، وهذا هو ما يدعونه في السياسة فن « التكتيكات » .
ومضى يردد هذه الكلمة ، وهو يضحك ساخراً ، ويهز
ذنبه متراقصاً طافراً . .

ولم يدرك القوم المراد من هذه الكلمة ، ولكن لهجة سكويرلر
كانت من قوة الإغراء ، وفتون الإقناع ، كما كانت همهمة
الكلاب الثلاثة التي جاءت معه ، من رهبة التهديد ، وشدة
الوعيد ، بحيث قبيل القوم بيانه صامتين ، وارتضوا شرحه بغير
سؤال ولا جواب . .

وقضى الحيوانات ذلك العام كله يشتغلون كالعبيد .
ولكنهم كانوا بالعمل راضين .

فلم يرضوا عليه بجهد ، ولا أمسكوا عن توضحية ، مدركين
أنه سيجدى عليهم ، وينفع الأجيال القادمة من بعدهم ،
لا لمصلحة جماعة من المستثمرين ، أو حفنة من الكسالى
واللصوص والمستغلين .

وانصرم الربيع ، وتلاه الصيف ، وهم يعملون ستين ساعة
في الأسبوع .

وحل شهر أغسطس فأعلن نابوليون أن العمل سيكون أيضاً
بعد ظهر الآحاد .

وقال إن العمل فيه اختياري ، ولكن كل حيوان ينقطع عنه
سيتناول نصف « جراته » المقررة لقاء غيابه عنه .

وقد تبين مع هذا الجهد المضني الذي اقتضاه بناء الطاجون ،
أن الظروف توجب التخلي عن بعض الأعمال الأخرى في
المزرعة ، أو التهاون ولو قليلاً بها ، فلا عجب إذا جاء الحصاد

يومئذ أقل نجاحاً منه في العام الماضي ، ولا غرو إذا لم يتمكن القوم من بذر البذار في حقليْن من الحقول المخصصة لزراعة « البنجر » في الموسم ، وهو مطالع الصيف ، لأن الحرث لم يكن قد انتهى في موعده .

وكان ذلك كله بلا ريب نذيراً بأن الشتاء التالي سيكون شحيحاً بالخير ، أشهب معسراً .

واعترض مشروع الطاحون عدة صعاب لم تكن في الحسبان وكان في المزرعة مقلع طيب من الحجارة والخير ، كما كشف القوم في بعض المخازن عن قدر وفير من الرمل والأسمت فتيسرت لهم بذلك مواد البناء ، ولكن المشكلة التي شق عليهم في أول الأمر حلها هي مسألة تكسير الحجارة وتقطيعها أحجاماً مناسبة .

وبدا لهم أن لا سبيل إلى تسوية حجومها على النحو المطلوب غير استخدام القووس « والقواديم » ، وهو عمل لا قبل للحيوان به ، لأنه لا يستطيع الاستواء على مؤخره .

ولم يهتد أحدهم إلى الوسيلة الصالحة إلا بعد أسابيع قضوها في جهد ضائع ، ومحاولة مخففة .

وكانت تلك الوسيلة هي الانتفاع بقعة « الجاذبية » .

فقد رأوا قطعاً ضخمة من الحجارة لا تصلح كما هي ،
 ملقاة في قاع المقلع ، تقتضى رفعها من مكانها .

فما كان منهم بوحى من ذلك الذى اهتمدى إلى الوسيلة ،
 إلا أن راحوا يلفون حبالا حول تلك الأحجار ، وينثنون جميعاً ،
 أبصاراً وخيلاً وأنعاماً ، وكل من يتيسر له الإمساك بتلك الجبال ،
 يشدون الحجارة بها من أسفل المقلع إلى سطحه ، حتى لقد
 اضطر فريق من الخنازير إلى المعاونة على الشد والجذب في
 أخرج اللحظات ، وحين العسرة والتخاذل .

فإذا استوت الحجارة على قمة المقلع ، أطلقوها من الجبال
 فضت تهوى من الجانب الآخر متكسرة مقطعة .

وكان نقلها بعد تكسيرها على هذا النحو عملاً سهلاً بالقياس
 إلى نقلها من بطن المقلع وقيعانه .

فقد جعلت الخيل تحملها فوق العجلات ، وأقبل الأغنام
 يجرون قطعاً فرادى منها ، حتى لقد شد موريل ، والحمار
 بنيامين ، إلى واحدة منها فقام كل منهما بنصيبه من هذه
 الشغلة المصنية .

وقبل أن ينقضى الصيف توافر للقوم قدر كبير من الحجارة
 وبدأ البناء بإشراف معاشر الخنازير .

ولكن عملية البناء ظلت بطيئةً مجهدة ، وكثيراً ما كان اليوم كله ينقضى في محاولة رفع حجر واحد إلى قمة المقلع ، وأحياناً كان الحجر يتدهور من فوق المنحدر فلا ينكسر ولولا الجهد الذى بذله بوكسر لما استطاع القوم شيئاً ، فقد كانت قوته تعدل قوى الحيوانات الأخرى مجتمعة ، وكلما بدأ الحجر ينحدر ويجذب معه الحيوانات التى كانت متضافرة على رفعه وهى تتصايح من الخوف ، وتزعق من خشية التردى ، كان بوكسر الحيوان الأوحده الذى يحمل على قواه فيمنع الحبل من الإفلات ويوقف الحجر عن الانحدار ، ولو رأيته وهو يصعد المنحدر لاهتأ ، وأطراف حوافره سائحات فى الأرض ، والعرق يتصبب من جبينه ، لتولاه الإعجاب به كما كان يعجب به القوم وهم وقوف ينظرون .

وكانت الفرس « كلوفر » أحياناً تحذره من الإجهاد البالغ ، وتبصره بعاقبة الإسراف فى التفانى ، ولكنه لم يكن يسمع لها ، أو يحفل بنذرها ، فقد كان شعاره « سأضعف الجهد » و « نابوايون على حق دائماً » ، الجواب الكافى عن جميع المشاكل والرد المقنع على سائر الأزمات .

وقد اتفق مع الديك الصياح على أن يوقظه فى بكرة الصباح

قبل موعد الصبح بثلاثة أرباع الساعة ، بدلا من النصف .
وقد يذهب في أوقات فراغه ، على ندرتها في تلك الأيام ، إلى
« المقلع » وحده فيجمع حملا من الحجارة المكسرة وينقله إلى
موقع « الطاحون بغير عون ولا نصير .

وكانت حال القوم خلال الصيف كله لا بأس منها ، على
فرط الجهد الذى بذلوه ، والعناء الذى قاسوه ، وإذا لم يكن
الطعام يومئذ أوفر مما كان يأتهم على عهد جونز وطفغيانه ،
فلم يكن على الأقل دونه مقادير ، وكانت المتعة التى يحسونها فى
قيامهم على طعامهم ، وكفالة غذائهم ، والاستغناء عن تغذية
أولئك الاستغلايين من البشر والمستثمرين وإشباع بطونهم ، خير
عزاء لهم عن فشل يمنون به ، وأحسن سلوة عن متاعب متعددة
يقاسونها ، بل كانت طريقتهم فى العمل أدق من قبل وأبلغ
كفاية وأكثر اقتصاداً فى الجهد والكدح ، فإن تنقية الأعشاب
والحشائش الخبيثة من الحقول كانت أحسن وأفضل من وسائل الإنسان
فيه وأساليبه ، ولم يعد للسرقات أثر فى هذا النظام « الحيوانى »
الجديد ، فلم تبق إذن حاجة بالقوم إلى التسوير على المراعى ،
وإحاطة الحقول بالحواجز والسياج وهو اقتصاد آخر فى الجهد
الذى كان جائزاً أن يبذل فى صيانة البوابات والحيطان .

ولكن ما كاد الصيف يوغل في مسيره ، حتى ظهرت أزمات
لم تكن في الحسبان .

فقد أعوز القوم الزيت والمسامير والبقساط المطلوب للكلاب
والدوبارة والحبال والحديد لحدو الخيل ، ولم يكن شيء منها
متوافراً في الضيعة أو في الإمكان إنتاجه .

ومست القوم بعدئذ الحاجة إلى البذور والسماد الصناعي
ومختلف العدد والآلات .

وأخيراً احتاجوا إلى عدد وأجهزة متعددة لمطالب الطاحون .
ولم يكن أحد منهم يتصور كيف السبيل إلى الظفر بهذه
الأشياء .

وفي ذات أحد حين احتشد الحيوانات ، لتلقى الأوامر
والتعليمات ، أعلنهم نابوليون أنه قد وضع سياسة جديدة وهي أن
المزرعة من الآن سترتبط مع المزارع المجاورة بعلاقات تجارية ،
لا ترمى طبعاً إلى التعامل والأخذ والعطاء بل كل الغرض منها هو
الحصول على الحاجات الضرورية التي لا غناء لهم عنها .

ومضى يقول إن احتياجات الطاحون يجب أن تتقدم كل
ما عداها ، وإنه لهذا السبب اتخذ التدابير لبيع أحمال من التبن
وجزء من محصول الحنطة ، وإنه معترم فيما بعد إذا احتاج الأمر

إلى المال بيع البيض ، ولا سيما أن له سوقاً رائجة في مزرعة
« ويلنجدون » .

وقال إنه يعتقد أن الدجاج سيرحب بهذه التضحية لأنها
الاكتساب الأوحى الذى ييسر له المساهمة به فى سبيل تنفيذ
مشروع « الطاحون » .

ولبت الحيوانات بعد سماعهم هذه القرارات والبيانات الجديدة
فى أماكنهم قلقين لا يدركون منها شيئاً ، فقد كان حظر التعامل
مع الأعداء ، أو الارتباط بالتجارة أو استثمار الأموال ، موضوع
قرارات سابقة اتخذت فى ذلك الاجتماع « التاريخى » الذى
انعقد بعد طرد العتاة المستثمرين .

فما الذى جرى ، وما سر هذا التحول الغريب . . . ؟ ؟
لقد تذكر الحيوانات جميعاً تلك القرارات أو على الأقل ظنوا
أنهم ذاكروها .

وعندئذ بدأ الحلاليف الأربعة الشباب الذين حاولوا من
قبل الاحتجاج حين ألغى نابوليون المناقشات ، وأبطل الاجتماعات
وحلقات الدراسة والبحث ، يرفعون عقائرهم فى خوف وإشفاق ،
ولكنهم لم يلبثوا أن أمسكوا رعباً من همهمة الكلاب الضارية .
وإذا بالأغنام كدأبهم ينطلقون فى رغائهم مكررين نشيدهم

الحبيب إليهم ، وهو قولهم « كل ذوات الأربع أختيار . . . » ، فلم يلبث الحرج الذى كان محيطاً بالاجتماع أن خفت حدته . وأخيراً رفع نابوليون إحدى قدميه الأماميتين مشيراً بالسكوت وأنشأ يقول إنه قد انتهى من اتخاذ جميع التدابير الضرورية ، فلا حاجة بأى حيوان منهم إلى الاتصال بالتجار والممولين ، لأن ذلك أمر غير مرغوب فيه بلا شك ، وإنه هو الذى سيتولى ذلك كله بنفسه ، وقد اتفق فعلاً مع مقال يدعى « وبمبر » يقيم فى ضيعة « وبلنجدون » على أن يشتغل « وسيطاً » بين المزرعة والعالم الخارجى ، وإنه سيزورهم كل يوم اثنين من الأسبوع ليتلقى التعليمات .

وختم نابوليون بيانه بتحية المزرعة وأهلها .

وأنشد القوم النشيد الوطنى .

وأنصرفوا متفرقين .

وطاف سكويلر بهم بعد ذلك لتهدئة خواطرهم ، فضى يؤكد لهم أن القرار المتعلق بحظر إنشاء علاقات تجارية مع الخارج واستخدام المال فى التعامل لم يتخذ فى يوم من الأيام ، ولا اقترحه أحد ، أو خطر مرة بالبال ، بل هو محض خيال أو مجرد وهم ، لعله أثر من الأكاذيب التى دأب « سنوبول » على ترويحها .

ولكن فريقاً من القوم ظلوا في شك مما يقول مريب .
 فعاد سكوبلر يسألهم قائلاً في خبث ومكر : هل أنتم
 متأكدون أيها الرفاق أن هذا الذي علق بأذهانكم ليس شيئاً
 تراءى لكم في الأحلام . . ؟ ؟ ؟ وهل لديكم سجل محفوظ دونتم
 فيه تلك القرارات ؟ ؟ ؟

ولم يكن لشيء من هذا أو نحوه أثر ، فلا غرو إذا اقتنع
 الحيوانات أنهم كانوا إذن واهمين .
 وجعل « ويمبر » الوسيط يزور المزرعة في كل يوم « اثنين »
 طبقاً لما اتفق عليه .

وكان ويمبر رجلاً ماكرّاً يبدو الخبث في وجهه ، وهو مقاول
 أو سمسار صغير ، ولكنه أدرك في الحال أن المزرعة أحوج
 ما تكون إلى رجل مثله يعرف كيف يثرى من ورائها ويظفر
 بكسب وفير من طريق « العمولة أو السمسرة » على مختلف
 الصفقات .

ولبث القوم يرقبون روحيات هذا الرجل وغدواته في شيء
 من الرعب ، وكانوا يتحاشونه قدر الإمكان .

ولكن مشهد نابوليون وهو يدب على أربع ، ويلقى الأوامر
 إلى « ويمبر » القائم على ساقين اثنتين ، ما لبث أن أثار كبرياءهم

ووجدوا في العزة والزهو بعض العزاء عن هذا التدبير الجديد .
فقد أصبحت علاقاتهم بالبشر غير ما كانت عليه بالأمس
الداير ، والماضى الممقوت .

أما البشر فقد ازدادوا لمزرعة الحيوانات كرهاً بعد أن رأوها
في رغد ، وتبينوا ما عراها من إصلاح وتحسين .

وما لبث كل إنسان أن آمن الإيمان كله بوجوب تدمير
هذا النظام المصنوع والعمل على إحباطه بكل سبيل .

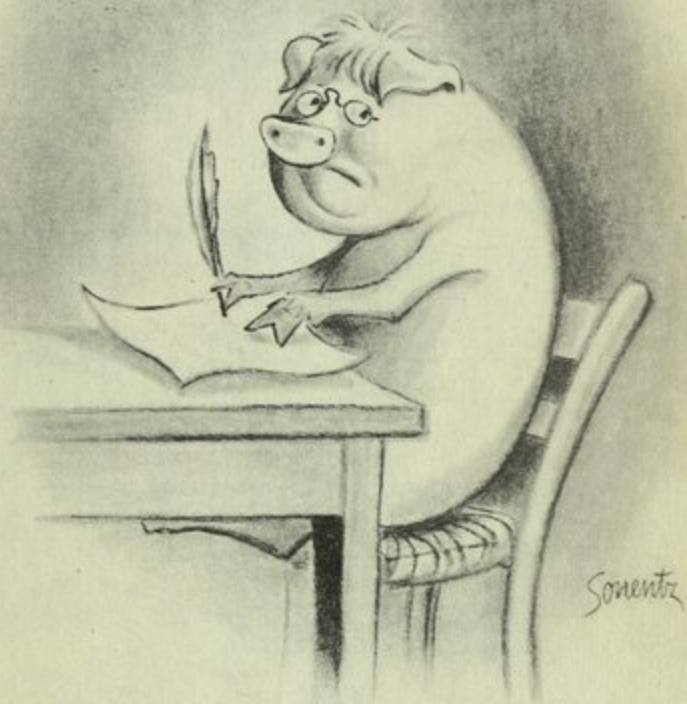
وكان الناس يجتمعون في المشارب ليتحدثوا في شأن هذه
المبادئ الطارئة ، ويتبادلوا الرأي في أى الوسائل أفعل وأجدى
في منع بناء الطاحون ، أو تقويض بنيانه إذا تيسر للحيوانات
إنشاؤه ، وإن ظل فريق منهم على الرغم منهم معجبين بظاهر
ذلك النظام أو مختلي الألباب بغشائه الخداع ، وطلائه البراق .

وكان من أعراض هذا التأثير الذى طرأ عليهم أنهم مضوا
بطلقون على النظام اسمه الحديد ، ويسمون المزرعة تسمية أهلها
لها ، وانشأوا عن دعوتها « مزرعة الذوات » كما كانت من قبل
تدعى وسط المزارع والضنياع .

وبدأوا كذلك يتخلون عن مناصرة السيد « جونز » وكان
هذا قد ودع كل أمل في استرداد مزرعته ، وذهب يلتمس



• كلاب نابليون تمسك بأربعة خنازير من آذانها وتجرحها جراحه ص ١١٨



« الشاعر منيموس ينظم الانشودة الجديدة » ص. ١٢٦

العيش في بلد بعيد .

ولم يبق من صلة بين المزرعة والعالم الخارجى إلا صلة « ويمبر » السمسار ، وإن راجت الإشاعات بأن نابوليون يوشك أن يعقد اتفاقاً تجارياً كبيراً بينه وبين المستر بلكنجتون صاحب مزرعة « فوكسوود » أو المستر فردريك صاحب مزرعة بتشفيلد ولكنه لا يريد أن يتفق معهما في رقت واحد .
وفي تلك الأيام انتقل معاشر الخنازير فجأة إلى الإقامة في الدار واتخذوها لهم مسكناً .

وتذكر القوم أنهم قرروا في الأيام الأولى من قيام نظامهم الحديد منع الإقامة في الدور والسكنى في القصور ولكن « سكويلر » عاد في أحاديثه الخاصة يقنعهم بأن الأمر ليس كذلك وأنهم بلا شك واهمون .

ومضى يقول إنه لا غناء مطلقاً لمعاشر الخنازير ، وهم العقل المدبر ، والقريحة المفكرة ، في المزرعة ، عن مكان هادئ يخلون فيه إلى أفكارهم ، ويعكفون فيه على بحوثهم ودراساتهم ، وإن ذلك أيضاً أكرم وأنسب لمكان « الزعامة » فيهم ، وكان قد درج في تلك الأيام على تسمية « نابوليون » بالزعيم ، وإضفاء أبدع الكنى والألقاب عليه .

ولكن فريقاً من الحيوانات ساورهم القلق البالغ حين سمعوا أن الخنازير لم يكتفوا بتناول وجباتهم في المطبخ ، واتخاذ قاعة الجلوس نادياً لهم وندوة رياضية ، بل مضوا ينامون على السرر .
واتفق أن مر « سكويلر » بهما في تلك اللحظة يحرسه كلبان أو ثلاثة من تلك الكلاب « المعهودة » فلم يلبث أن شرح لها الأمر وأقنعهما بقوة عارضته ، وبلاغة مغالطاته .

قال : لقد سمعنا إذن أيها الرفيقان أننا معاشر الخنازير أصبحنا ننام في سرر الدار وأرائكها ، ولم لا يا صاحبي ، ألم يخطر يوماً ببالكما أن المنع لم يحدث مطلقاً ، إن السرير أيها الرفيقان هو موضع للنوم ، أو مرقد ، أو منامة ، فالكومة من القش في المرتبط فراش أو سرير أو مضجع سواء بسواء ، وإتما كان المنع منصبا على « الأغطية » التي امتاز بالتمتع بها خصومنا وأعداؤنا الألداء ، وقد خلعناها نحن ورفعناها من المضاجع ، واقتصروا على النوم في وسط « البطاطين » وإنها لمراقدة مريحة والله ووثيرة ، ولكنها ليست فخمة كما يجب لمعاشر ذوي العقول المفكرة والقرائح المبتدعة ، أفتريدون أن تضنوا علينا بشيء من الراحة ، أم تودون ألا نجد من الترفيه ما يعيننا على العمل ، ويحفزنا إلى تأدية المهام الجسام الملقاة علينا ، فلا يلبث خصومنا

أن يعودوا أدراجهم ويستردوا في المجتمع المكان الذي فقدوه . .
فلم يكن من الفرس والجدى إلا أن أكدا له أنهما لا يبغيان
من ذلك شيئاً . . .

وأما « بوكسر » فجعل كدأبه يقول: « نابوليون على حق
دائماً . . . ! »

ولكن الفرس كلوفر ، ظنت أنها لا تزال تذكر حظراً معيناً
صدر ضد النوم في السرر ، فذهبت إلى الطرف الأقصى من
« الجرن » لتحاول مراجعة « الوصايا السبع » المخطوطة على اللوح
القائم فوق الجدار .

ولكنها تبينت عجزها عن قراءتها ، فذهبت تلمس الجدوى
الأبيض « موريل » .

قالت: يا موريل ، هلا قرأت لي الوصية الرابعة أليست
تقول بمنع النوم في السرر ؟

فوقف موريل يتهجد في مشقة .

وأخيراً استطاع أن يتبين الألفاظ ، فانثنى يعجب قائلاً :
« نعم . إنها تقول لا يجوز النوم في فراش ذى أغطية » .
يا عجباً . . . !

لقد كانت كلوفر واثقة أن الوصية الرابعة لم تبشر مطلقاً إلى

الملاءات والأغطية .

ولكن ما دامت هذه العبارة مدونة على الجدار ، فلا بد من أن يكون الأمر كذلك .

ومن ذلك اليوم لم ينبر أحد من القوم للحديث عن نوم الخنازير في السرر ، ولم يعد إلى اللوم والتبرم والعتاب .
وحين أذيع بعد أيام أن الخنازير سينهضون من النوم متأخرين ساعة عن الموعد الذى يصححو فيه الحيوانات عامة ، لم يرتفع فى المزرعة صوت بشكاة أو احتجاج .

وما إن حل الخريف حتى كان القوم فى كد واصب ، وإن نعموا بحالمهم ، وسعدوا بالثمرات التى آتاها تعبهم المتواصل فى الصيف والوفاء بمطالبه .

لقد كان ذلك العام قاسياً كدحوا فيه كدحاً .

وبعد بيع جزء من التبن والقمح لم يبق فى الخنازن غير قدر يسير ، ولكن الطاحون كان خير عوض عما أعوزهم ، وأحسن عزاء ، فقد كاد نصف العمل فى بنائه ينتهى ، وهم على استكمالهم عاكفون .

وكان « بوكسر » يخرج فى بعض الليالى فيقضى فى العمل وحده ساعة أو ساعتين على ضياء القمر .

وَألف القوم في أوقات فراغهم أن يطوفوا بالطاحون جماعات
للإعجاب بمتانة الجدران القائمة والعجب من أنفسهم كيف
توأتى لهم بناء شيء باذخ على هذا النحو البديع .

ولبث الحمار « بنيامين » فاتراً لا يبدى حماسة ولا عجباً ، وإن
ظل يردد قوله المأثور : « إن معاشر الحمير طوال الآجال » .
وجاء شهر نوفبر بعواتى رياحه وعواصفه وأمطاره الغزار ،
فاضطرب القوم إلى وقف العمل فى الطاحون ، لاستحالة خلط
« المونة » ومزج « الأسمنت » .

وفى ذات ليلة هبت عاصفة هوجاء جعلت أبنية المزرعة
تهتز من القواعد ، وأطاحت بالآجر والقوالب التى كانت
تكسو الأسطحه .

واستيقظ الدجاج من الرعب وجعل يرسل صياحاً مستطيلاً ،
وهم قائلون إنهم رأوا فى المنام بندقية تطلق من مكان بعيد .
وخرج الحيوانات فى الصبح من مرابطتهم فوجدوا سارية
العلم محطومة ورأوا شجرة دردار مقتلعة من جذورها كما يقتلع
القفل .

وما كادوا يلُمون بموضع الطاحون ، حتى انطلقت الصيحات
المدوية من الخناجر والحلوق .

لقد أخذ أعينهم مشهد رهيب .

فقد بدا لهم الطاحون أنقاضاً متداعية ، وخراباً يباباً . . .
وجاء الذين لم يكونوا حاضرين يهرعون ، حتى نابوليون
ذاته ، الذى قلما كان يحنح إلى الوثب ، ويقصر مشيه على
الخطو ، أقبل يعدو في الطليعة إلى ذلك المنظر الأليم .
ها هو ذا جهد الشهور الطوال قد سوى بالتراب ، وتداعى
البنيان من قواعده . . .

وها هى ذى الأحجار التى ظلوا الأيام تلو الأيام يحملونها
من « المقلع » وينقض نقلها منهم الظهور ، متناثرة فى كل
ناحية . . .

وعقد المشهد ألسنتهم فوقفوا ينظرون إلى الانقراض المتراكمة
واجمين محزونين .

وجعل « نابوليون » يروح ويندو فى صمت ، وإن مضى
بين لحظة وأخرى يستاف الأرض بخرطومه ، وقد تخشب ذنبه
واهتر وترنح ، وبدا فى تفكير عميق . .
ولم يلبث فجأة أن وقف عن الحركة كأنما قد استقر على
رأى ، وهدهاه التفكير إلى خاطر جديد .

وأنشأ يقول بهدوء ، هل تعرفون أيها الرفاق من المسئول . . ؟

وهل تعلمون من هو العدو الذى انسل فى الليل فهدم طاحونكم ؟
وعندئذ ارتفع صوته قاصفاً كالرعد ، واسترسل يقول : هو
سنوبول . . . سنوبول هو الذى فعل هذا . . . فقد ظن هذا
الخائن أنه قادر بنخبته المركب فيه ، وحب الشر المستمكن منه ،
على أن يثار لنفسه بعد أن طرد شر طردة ، وأخرج من هذه
الديار خرجة السوء ، فتسلل تحت جناح الليل ليفسد عليكم
ما أقمتموه ، ويحطم ما شيدتموه ، ويهدم ما قضيتم قرابة عام فى بنائه .
أيها الرفاق ، إننى هنا أعلن على رؤوس الأشهاد الحكم
على سنوبول بالموت ، فلمن يقدمه إلى العدالة وسام البطولة
من الطبقة الثانية وحمل بعير من التفاح ، وضعف ذلك لمن يأتى
به حياً . . . !

ولشد ما ريع الحيوانات وبهتوا حين علموا أن سنوبول هو
الجانى الأثيم .

وارتفعت صيحات الغضب والحق من كل جانب .
وأخذ كل منهم يفكر فى الوسائل التى قد تيسر له القبض
عليه لو سولت له النفس الرجوع .
وفى تلك اللحظة عثر القوم على آثار أقدام خنزير على
مسافة من الربوة العالية .

وتبعوا هذه الآثار ، بضعة أمتار ، ولكن بدا لهم أنها انتهت عند نقب في السياج .

وجاء نابوليون فاستاف الأثر بخياشيمه ملياً وقال إنها آثار أقدام سنوبول من غير شك ، وإنه في الغالب جاء من طريق مزرعة فوكسوود المجاورة .

ودار بعينه إلى القوم فصاح فيهم قائلاً : أيها الرفاق لا إرجاء بعد اليوم ولا تأخير ، فإن أماننا عملاً لا مفر من إنجازه ، ولنشرع من الساعة في إعادة بناء الطاحون ولنقض فيه الشتاء كله ، إن جاء مطيراً ، أو أتى صحوً مشمساً ، لكي نبين لذلك انخائن المهين أنه ليس على إفساد أمرنا بقادر .

وتذكروا أيها الرفاق أنه يجب أن لا يقع تغيير ما في خططنا بل ينبغي أن نرسمها بدقة ، ونتبع تصميمها بكل اهتمام . هلموا إلى العمل أيها الرفاق .

« وليحي الطاحون ، ولتحي مزرعة الحيوان »

وكان الشتاء شديداً مريراً .

فقد تبع عواصفه سقوط ثلوج وتراكم جليد .

وجاء بعد الجليد صقيع لبث يشد إلى شهر فبراير .

ودأب الحيوانات على العمل قدر جهدهم ، مدركين أن العالم الخارجى ينظر إليهم ، وأن خصومهم فيه سوف يفرحون ويشمتون إذا لم يستكملوا الطاحون فى الموعد المضروب .

وقد تظاهر الناس فى البلاد المجاورة ، حقداً منهم وغلا ، بأنهم لا يعتقدون أن « سنوبول » هو الذى دمر الطاحون ومضوا يقولون إنه تداعى لأن الجدران لم تكن قوية سميكه .

ولكن الحيوانات كانت تعلم عن يقين أن الأمر لم يكن كذلك وإن قررت أن تجعلها أكثف فى هذه المرة وأسمك .

وكان ذلك يقتضى طبعاً جمع حجارة أكثر ، وحشد جهد أشق وأوفر .

ولكن المقلع ظل فترة طويلة من الزمن مغطى ببركام من الجليد فلم يستطيعوا عملاً ، ولم يتوات لهم جهد .

ولما حل الصقيع ، وجف الخليلد ، أقبلوا يحملون ولكنه كان عملاً شاقاً لا يبعث الأمل ، ولا يغرى بالمواصلة ، ولا يحفز إلى مضاعفة النضال .

واصطلح البرد والجوع عليهم ، ففترت منهم الهمم قليلاً . ولكن بوكسر وكلوفر لم ييأسا ، ولم يعاجلهما قنوط . وطفق « سكويلر » يلقي خطاباً بليغة في فرحة العمل ، وكرامة الدأب ، وشرف النضال .

ولكن معاشر الحيوانات لم تتأثر بتلك الخطب العوالى قدر ما تأثرت بما رأت من همة الحصان « بوكسر » وعزماته ، وترداد كلمته المأثورة « سأضعف الجهد » . . . !

وكان الطعام قد شح في شهر يناير ، فأنقصت الجراية اليومية من القمح ، وأعلن أن قدرًا إضافيًا من البطاطس سيصرف تعويضاً عن ذلك النقص .

ولكن تبين أن الجزء الأكبر من محصول البطاطس فسد في المخازن ، من أثر الجليلد ، ولم يبق منه صالحاً للأكل غير نزر يسير .

وقضى الحيوانات أياماً لا يطعمون غير التبن والنخالة . وبدا كأن المجاعة توشك أن تعضهم بأنيابها الحداد .

وكان لزاماً عليهم بلا شك أن يخفوا هذه الحقيقة عن العالم الخارجي ، ولكن الناس لم يلبثوا أن وجدوا في الدمار الذي وقع للطاحون حافزاً يشجعهم على اختراع الأكاذيب ومختلف الروايات ، عن مزرعة الحيوانات .

فقبل إنهم أصبحوا نهب المجاعات والأمراض ، وإنهم اختلفوا فيما بينهم ، وانقسموا على أنفسهم ، ولبثوا إلى أكل اللحوم البشرية ، وقتل الأطفال .

وأدرك نابوليون سوء العقبي إذا عرف الناس في الخارج حقيقة الأزمة الغذائية في المزرعة فصحت منه النية على استخدام السمسار « ويمبر » في نشر روايات مناقضة لما كان يشاع .

ولم يكن أحد من القوم قد اتصل إلى اليوم بهذا السمسار في زوراته الأسبوعية ، ولكن بعضهم ، ومنهم الغنم خاصة ، تلقوا تعليمات من « الزعامة » بأن يقولوا على مسمع منه إن الأغذية وفيرة ، وإن الجراية قد زيدت عما كانت من قبل .

وأمر نابوليون أيضاً بأن تملأ الأحواض الخالية في السقيفة إلى قرابة حفافها رملاً ثم تغطى بطبقة من بقايا الحبوب والغلل .

وسبق السمسار ويمبر لعذر مقبول ، وسبب ظاهر الوجهة إلى السقيفة في يوم من الأيام ، ليشهد الحيضان ملائى بالخير .

فانخدع الرجل ومضى يروى للعالم الخارجى ما رأى بعينى رأسه ، ويكذب ما كان يقال عن الأزمة الغذائية فى المزرعة .
ولكن قبيل انتهاء شهر يناير تبين أنه لم يعد ثمة مفر من الحصول على مقادير من الحبوب من الخارج .

وكان نابوليون فى تلك الأيام قليل الظهور فى المجامع ، يقضى أكثر وقته فى « الدار » ويقم من حولها ، وعلى أبوابها المتفرقة ، حرساً شديداً من الكلاب الضارية .

وإذا خرج يوماً ، أقبل فى موكب فخم ، تحرسه ستة كلاب ضخمة ، تهمهم وتزجر إذا اقترب أحد منه .

وكثيراً ما كان يحتجب عن القوم فى أيام الآحاد ، فلا يخرج إلى الإجتماع العام ، بل يصدر الأوامر من طريق أحد الخنازير ، والغالب أن يكون « سكويلر » الخطيب المفوه ، والمنطيق الكبير .

وفى ذات أحد أذاع « سكويلر » أن الدجاجات التى توشك أن ترقد على بيضها ، يجب أن تمتنع عن الرقاد لعرض البيض للبيع ، فقد تعاقد نابوليون عن يد السمسار « ويمبر » على توريد أربعائة بيضة فى الأسبوع لكى يتيسر بالتمن شراء حبوب وأغذية تكفى حاجة المزرعة إلى مقتبل الصيف ، وتحسن الأحوال .

فلما سمعت الدجاجات ذلك أرسلت صيحة بالغة وكانت من قبل قد أُنذرت بأنها قد تطالب بهذه التضحية ولكنها لم تكن تعتقد أنها آتية فعلا ، وكانت قد أعدت العدة لرقدة الربيع ، فلا غرو إذا احتجت اليوم بأن انتزاع البيض منها جناية منكرة بل جريمة قتل .

ولأول مرة بعد طرد سنوبول كادت تقوم « الثورة » .
فقد حاولت الدجاجات بزعامة كبيرات ثلاث منهن ، إحباط خطة نابوليون وإفساد الأمر عليه .
وكانت وسيلتهن أن يطرن فوق « التقيصات » فيبيضن عليها وعندئذ يسقط البيض إلى الأرض فيتهشم جميعاً وينكسر .
ولكن نابوليون بادر إلى الحيلة ، في غير رحمة ولا رفق ، فأمر بوقف صرف الأغذية لهن ، وقضى بالموت على كل حيوان يمد إحداهن بقليل من حب ، أو نزر من غذاء .
وطلب إلى الكلاب أن تلاحظ تنفيذ الأمر ، وتشرف على تطبيقه .

وانقضت خمسة أيام والدجاجات صامدات على مسغبة ، ولكنهن في النهاية سلمن صاغرات .
وذهبن إلى « الأخنان » ليضعن بيضهن .

وكانت النافقات منهن في هذه المحاولة الفاشلة تسع دجاجات.
فدفنت جثثهن في البستان .

وقيل إن وفاتهن كانت بسبب « الفرة » أو . . . الرباء .
ولم يسمع « ويمبر » بما جرى ، بل جاء فتسلم البيض بانتظام
وكانت عجلة « بدال » تأتي مرة في الأسبوع لتحمله .
وقع ذلك كله ولم يسمع أحد بسنوبول أو يشهده وإن قيل
إنه مختف في إحدى المزرعتين المجاورتين .

وكان نابوليون في هذه الأيام قد استطاع توثيق صلاته بالزراع
التريبيين وتعزيز روابطه .

وكان قد اجتمع لديه في المزرعة قدر كبير من الأخشاب
لبث في مكانه عشرة أعوام عقب إزالة بعض الأدغال على
حاشية القرية .

وكان الخشب صالحاً للبيع ، فنصح ويمبر لنابوليون أن
يتصرف فيه .

وكان كل من المستر بلكنجتون والمستر فردريك راغباً في شرائه .
فظل نابوليون بينهما متردداً لا يدرى لأيهما يصح أن يبيع .
وتبين أنه كلما أوشك أن يتفق مع « فردريك » ، قيل إن
سنوبول مختف في قريته ، وكلما هم بأن يبيع الخشب

لبلكنجتون جاء الرواة يقولون إن سنوبول مختبئ في مزرعته .
وما إن أقبل الربيع حتى عرف القوم فجأة أمراً يقلق البال ،
ويزعج الخاطر ، وهو أن « سنوبول » جعل يغشى المزرعة
خلسة ، ويكثر من التسلل إليها تحت جنح الظلام .

وقد اشتد القلق بالحيوانات فلم يهناها النوم في المرباط .
وقيل إنه كان في كل ليلة إذا أرخى الظلام سدوله ينسل
إلى المزرعة ويحدث مختلف ضروب الأذى ، كأن يسرق القمح
أو يقلب جرار اللبن ، أو يكسر البيض ، أو يتلف البذور ،
ويقرض لحاء شجر الفاكهة .

وأصبح القول السائر كلما وجد القوم أثراً لتلف ، أو أمانة
سوء ، أنه من فعل سنوبول وأذاه .

فإذا شوهدت نافذة مكسورة ، أو مصرف مسدود ،
قال قائلهم لقد انسل سنوبول تحت جناح الليل فأحدث
ذلك وتعمده .

ويوم ضاع مفتاح المخزن القائم تحت السقيفة ، لم يبق في
المزرعة أحد إلا ذهب يقول إن سنوبول هو الذى ألقاه في
غيابة البئر .

وأعجب من ذلك أنهم ظلوا معتقدين ذلك حتى بعد أن

اهتدوا إلى المفتاح تحت غرارة من التبن .
وأجمعت الأبقار على أنه تسلل إلى «المداود» ليلاً فاحتلب اللبن
من ضروعهن وهن نيام .
وقيل أيضاً إن الجرذان مؤتمرون مع سنوبول ، لا لشيء سوى
كثرة شقاوتهم وعيبتهم فساداً في ذلك الشتاء .
وقرر نابوليون وجوب إجراء تحقيق واف في مسألة حركات
سنوبول وتسلاته .

وخرج في حرس من كلابه فطاف أرجاء المزرعة ومبانيها .
وتبعته الحيوانات على مسافة احتراماً لمكانه .
وجعل يقف كلما سار بضع خطوات فيستاف الأرض
بخياشيمه ، لعله مهتد إلى أثر سنوبول ومواطئ أقدامه ، قائلاً
إنه القدير على اقتفائها بحاسة الشم .
وكذلك وقف يشتم ويستاف في كل ركن وزاوية ،
الجرن ، والسقيفة ، والتقفيفة ، وغيط الخضر ، ويجد الأثر
في كل ناحية ، فيزق زعقات رهيبة ، وهو يقول : لقد كان
هنا ، إنني أجد ريحه لولا أن تفندوني . . .
وكانت الكلاب كلما نطق باسم سنوبول تهر هرباً مخيفاً
وتكشر عن أنيابها .

واستولى الرعب على معاشر الحيوانات جميعاً ، وخيل إليها أن « سنوبول » قد عاد شعباً غير منظور ، وسلطاناً خفياً لا تراه الأعين ، يسمم الهواء الذى ينشقون ، ويفسد عليهم الحياة التى يحيون ، ويهددهم بكل ضروب الخطر والأذى وهم لا يشعرون . ولما حان المساء جمعهم « سكويلر » واتخذ سمات القلق ، واستهل حديثه بأن لديه أنباء خطيرة يريد أن يكشفهم بها . وأنشأ فى حماسة عصبية مصطنعة يقول : أيها الرفاق ! لقد انكشف لنا أمر خطير ، وظهر لنا ما لم نكن نعلم ، لقد باع « سنوبول » نفسه لفردريك رب مزرعة « بتشفيلد » الذى بدأ يأتمر بنا ، ويريد أن ينتزع المزرعة منا ، وقد اتفقا على أن يكون سنوبول مرشده حين يغير علينا ، ويغزو ديارنا ، بل شر من ذلك وأدهى ، أننا كنا نحسب تمرد سنوبول علينا ، وخروجه على إجماعنا ، إنما يرجع إلى غروره وجهالته ، ويعود إلى جشعه وطماعيته ، ولكننا كنا أيها الرفاق مخطئين ، فهل تعرفون ما هو السبب ، وهل تدرون ما الباعث ؟ لقد كان سنوبول متفقاً مع جونز من البداية ، وكان طيلة الوقت صنيعته ، وقد ثبت ذلك كله لدينا بالوثائق التى تركها وراءه ولم نعر عليها إلا فى الأيام الأخيرة ، وأعتقد معاشر الرفاق أن ذلك

تأويل أحداث كثيرة ، وسر حركات عدة ، ألم تروا كيف كان يحاول أن تحقق علينا الهزيمة في معركة السقيفة لولا أن حالفنا التوفيق فخرجنا منها منتصرين . . . ؟

وسمع القوم هذا القول فبهتوا وبلبلوا بلبالا .
فقد بدت لهم هذه الفعلة المنسوبة لسنوبل سوءاً أشد وأنكى وظلوا واجمين حيارى عدة لحظات قبل أن يدركوا المراد من تدميره الطاحون .

فقد تذكروا ، أو خيل إليهم أنهم تذكروا ، كيف كان سنوبل ، المتصدى الأول للهجوم في معركة السقيفة ، وكيف مضى يشجعهم ويحرضهم على القتال في كل منعطف ، ويحسمهم للنضال عند كل ركن ، وكيف لم يقف عن الحركة والوثوب والكر والفر ، حتى بعد أن تلقى الرصاص في ظهره ، ونزف الدم من جروحه .

وشق عليهم في مبدأ الأمر أن يوقفوا بين هذا الذي صور لهم وبين القول بأنه كان صنيعة جونز وشريكه في فعلته .
ولبت «بوكسر» نفسه حائراً مشدوهاً ، وهو الذي قلما يبحث في الأمور ، أو يستريب بالمسائل ، فقد ظل مغمضاً عينيه يحاول جاهداً جمع شتات أفكاره .

وأنشأ بعد سكون طويل يقول : لا أعتقد ذلك فقد حارب سنوبول في المعركة بشجاعة بالغة ، ورأيت به بنفسى وهو يناضل ويكافح ، أو لم ننعم عليه عقب القتال بوسام البطولة الأكبر ؟ وعندئذ عاجله « سكويلر » قائلاً : لقد كنا فى الإنعام عليه مخطئين أيها الرفيق ، وقد تبين لنا اليوم من الوثائق أنه كان يريد بذلك أن يسوق بنا إلى الهلكة ، ويقضى علينا القضاء الأخير .

قال : ولكنه خرج من الميدان جريحاً ، وقد رأينا جميعاً الدم وهو يقطر منه .

فصاح سكويلر به قائلاً : لقد كان ذلك مدبراً ، وبعض الخدع التى لجأ إليها لإيهامنا وإغرائنا ، واعلم أن الزصاصة التى أصابته من كف جونز ، إنما كسحت منه الأديم ، ولم تحدث فيه جرحاً غائراً ، وفى إمكانى أن أبين لك ذلك فى الوثائق التى كتبها بخطه إن كنت على القراءة قديراً ، وكانت المؤامرة تقضى بأن يعطى سنوبول فى اللحظة الحرجة إشارة بالهرب وتخلى العدو من الميدان فيكون له النصر المبين ، وقد كاد ينجح ، بل دعونى أصارحكم معاشر الرفاق إنه كان بلا ريب الناجح الموفق لولا فضل زعيمنا البطل ، الرفيق نابوليون .

أفلا تذكرون كيف تولى جونز في اللحظة التي استطاع العدو التسلل إلى الفناء متراجعا فجأة لائذاً بأذيال الفرار وكيف تبعه فريق منكم ؟

وهلا ذكرتم أيضاً كيف وثب الرفيق نابوليون وثبته ، حين اشتد الفزع ، وتخرج الموقف ، وكاد الفشل يقع في الصفوف ومضى يغيب أنيابه الحداد في ساق جونز حتى أدماها ؟
وراح «سكويلر» يقفز من ها هنا وها هنا وهو يقول في حماسة متقدة ، أجل ، إنكم لتذكرون ذلك كله أيها الرفاق ولا تزال صور ماثلة أمامكم . . . !

ونخيل للحيوانات بعد هذا الوصف البارز الذي وصف «سكويلر» المشهد به أنهم حقاً ذاكروه ، وإن كان كل ما عاد في تلك اللحظة إلى خواطرهم منه أن سنوبول تولى في أخرج المواطن هارباً . .

ولكن « بوكسر » ظل متردداً قلقاً .

قال بعد صمت طويل : لا أعتقد أن سنوبول كان في البداية خائناً ، أما ما جرى بعد ذلك فيختلف أمره ، ولكني مؤمن بأنه كان رقيقاً صالحاً ، ومحارباً بأسلاً مكافحاً ، في معركة السقيفة .

فعاد سكويار يقول بصوت هادئ ، ولهجة أكيدة : إن زعيمنا الرفيق نابوليون قد أعلن صراحة أيها الرفاق بأن سنوبول كان صنيعاً أعدائنا من البداية ، بل قبل الثورة بعهد طويل . وعندئذ مضى بوكسر يقول : آه . هذا شيء آخر ، وإذا قال نابوليون ذلك ، فالقول ما قاله ، لأنه على حق دائماً .

فصاح به سكويار وهو يتأمله بنظرة حادة : هذه هي الروح الصادقة للمواطن الحسن ، والرفيق الصالح .

وهم بأن يذهب ، ولكنه وقف ومضى يقول بجدة : إننى أريد أن أنصح لكل فرد منكم بأن يفتح عينيه ، ويأخذ حذره ، فإن بيننا فى هذه اللحظة بالذات صنائع لسنوبول ، وجواسيس وأرصاداً .

وانقضت على هذا الحادث أربعة أيام ، فدعا نابوليون القوم إلى الاجتماع فى أصل النهار ، ولما تكامل عقدهم ، خرج من الدار إليهم ، متقلداً وساميه الرفيعين وكان قد أنعم أخيراً على نفسه بوسامى البطولة من الطبقتين الأولى والثانية ، ومن حوله كلابه التسعة الضارية تتواثب ، وتتلعب ، وترسل هريراً تسرى له فى النفوس هزة الرجل .

فلم يكد القوم يرونها ويسمعون هممتها الخيفة حتى انزروا فى

صمت قابعين في جلودهم ، متوقعين حدثاً رهيباً يوشك على الوقوع .

ووقف نابوليون ينظر إلى القوم عابساً متجهماً .
وهمس لكلا به همسة غريبة .

وإذا بها تففز من أماكنها حوله ، وتمسك بأربعة خنازير من آذانها وتجرها جرّاً ، وهي تصيح صيحات رعب وألم ، حتى ألقت بها عند قدمي نابوليون .

وكانت آذان الخنازير تقطر دماً .

ولم تكد الكلاب تذوق طعم الدم حتى جُنَّت واشتدت ضراوتها .
وما كان أشد ذهلة القوم إذ رأوا ثلاثة منها ترتعي على الحصان « بوكسر » .

ولمحا هذا وهي قادمة نحوه فرفع حافره وضرب أحدها فجعله يرتفع في الفضاء ويسقط مكانه تحت سنابكه .

وصرخ الكلب يطلب الغوث .

وفر الكلبان الآخران ذليلين يحبسان ذيليهما بين ساقيهما الخلفيتين .

ونظر بوكسر إلى نابوليون ليعرف منه هل ينبغي له أن يحطم الكلب بقوائمه أم يطلقه .

وتغيرت سمعة نابوليون وطلب إلى بوكسر محتدًا أن يترك الكلب ، فلم يكن من الحصان إلا أن رفع حافره وخطى بينه . وانطلق الكلب يئن ويهر موجعاً .

وما لبثت الجلبة أن هدأت ، وبقيت الخنازير الأربعة في أماكنها تتربص خائفة راعشة ، وقد بدت شاعرة بالذنب ذليلة مستسلمة .

وعندئذ طلب نابوليون إليها أن تعترف بجرمها . وتبين أنها الخنازير ذاتها التي احتجت على نابوليون عند إلغاء الاجتماعات وإبطال المناقشات .

وأشأت تعترف من فور ساعتها بأنها كانت متصلة سرًا بسنوبول منذ طرد من المزرعة ، وأنها عاونته على تدمير الطاحون ، واتفقت معه على تسليم المزرعة للأعداء . وأضافت قائلة : إن سنوبول حدثها بأنه كان صنيعة « جونز » من عدة سنين .

ولما أتمت الخنازير اعترافاتها ، وثبت الكلاب عليها فزقت أعناقها شرمزق .

وصاح نابوليون صيحة مرعبة وهو يقول هل من أحد آخر أتى جرمًا ويريد أن يعترف ؟

وعندئذ خرجت الدجاجات الثلاث اللاتي ترعمن حركة
العصيان احتجاجاً على بيع البيض ، متقدمة من الصفوف
وقلن : إن سنوبول ظهر يوماً لمن في المنام ، وحرصهن على
عصيان أوامر نابوليون والانشقاق عليه .
ووثبت الكلاب مرة أخرى على هذه الدجاجات فخنقوهن
خنقاً .

وأنت أوزة فاعترفت بأنها استرقت ست سنابل من القمح
في حصاد العام الماضي فأكلتها حين جن الليل بعيدة من الرقباء .
وتقدمت نعجة فاعترفت بأنها بالث في البركة المخصصة
للسقاية ومياه الشرب ، قائلة إن الذي حرصها على فعلتها هو
« سنوبول » .

وجاءت نعجتان أخريان فقالتا إنهما قتلنا كبشاً عجوزاً
كان من أنصار نابوليون وأوليائه المقربين .
ولم يلبث « الزعيم » أن أمر بهؤلاء جميعاً فذبحوا تذبيحاً .
واستمرت الاعترافات بعدئذ ملياً ، وتلتها أحكام بالإعدام
ونفذت على الأثر ، حتى اجتمعت عند قدميه أكاداس من
الجثث وتعال ربح الدماء في الفضاء فلأت منافسه ، وهو
مشهد لم يقع مثله منذ طرد « سنوبول » .

ولما انتهى الاجتماع ، تسللت الحيوانات مروعة حزينة واجفة ، فلم يبق إلا الخنازير والكلاب فى الساحة ، لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون . .

ولبث القوم حيارى لا يدرون أى الأمرين أشنع وأنكر ، خيانة الذين كانوا متآمرين مع سنوبول ، أم العقاب الرهيب الذى شهدوه بأعينهم .

وقد رأوا مشاهد دموية رهيبة فى الأيام الخالية ولكنها لم تكن كما بدا اليوم تذييحاً وتقتيلاً فيما بينها ، ومنذ خرج « جونز » من المزرعة لم يقتل حيوان حيواناً آخر ، بل لم يروا يوماً جرذاً مذبوحاً ، ولا هرة دائمة .

ومضوا إلى الرابية حيث يقوم الطاحون الذى لم يكتمل بنيانه فاستلقوا جميعاً على الثرى متلازمين متلاصقين كأنما يطلبون من البرد دفئاً .

لقد رقدوا بجمعهم ، كلوفر ومورييل وبنيامين والبقر والأغنام وأسراب الأوز وجماعة الدجاج ، خلا الهرة فقد اختفت فجأة قبل أن يدعوا نابوليون القوم إلى الاجتماع .

ولبث الجمع صامتين لحظة ، لا ينبس أحد ببنت شفة ، ولا يتجمع منهم مخلوق بكلمة .

وبقى بوكسر مستوياً على سوقه ، وهو قلق يغدو ويروح
ضارباً جبينه بذيله الفاحم المستطيل ، ويبدى بين لحظة وأخرى
حركة دهشة وعجب .

وانثنى بعد طول صمت يقول لست أفهم شيئاً ، وما كنت
أوثر أن يمتد بى زمنى حتى أرى ما رأيته اليوم فى المزرعة ،
فلا بد من أن يكون السبب فينا ونحن لا ندري ، أترانا ضللنا
أو أخطأنا ، وما أحسب ثمة حلاً لهذه المشكلة غير الإكباب
على العمل والتمناء فيه ، ومن الآن سأصحو فى الصبح قبل الآخرين
بساعة أو تزيد .

وانطلق خبيماً إلى المقلع .

واحتمل حملين ثقيلين من الحجارة ومضى يجرها إلى موضع
الطاحون قبل أن يدخل الليل ، ويأوى إلى مربطه .

أما الآخرون فقد ظلوا متلازمين محيطين بكلوفر وهم فى صمت طويل .
وكانت الراية تشرف على الأرض المترامية من حولها فرأوا
المزرعة من جميع أطرافها والمراعى الممتدة إلى الطريق وحقول
الزرع والحبوب ، وأجران القش والتبن ، والمغزل والبركة والترعة
والأرض المحروثة ، وأسطحة المباني ، وذوائب الدخان المتعالية
من مداخنها .

وكان المساء رائقاً عليل الأنسام في إبان الربيع وبواكيره .
وكانت أشعة الشمس أوان المغيب تترامى على السياج
والحشائش الناضرة فتزید مشهدها رونقاً ورواء .

فلم يلبث القوم أن شعروا أن المزرعة التي باتت مزرعتهم ،
وأصبح كل شبر من أرضها ملكاً لهم ، لم تكن تلوح في يوم
من الأيام أبهى منها اليوم ولا أجمل مقاماً ، ولا أطيب منزلاً .
ولم تكد « كلوفر » تطل على السفح حتى اغرورقت عينها
بالعبرات .

ولو أتيح لها التعبير عن خواطرها في تلك الساعة ل قالت إن
هذا الذي جرى منذ قليل لم يكن الهدف المنشود حين تضافر
القوم منذ سنين على طرد أعدائهم من الأرض وتطهير المزرعة
من خصومهم ، وإن هذه المشاهد الدموية لم تكن ما
تطلعوا إليه ، وعقدوا الآمال الكبار عليه ، في تلك الليلة
التاريخية التي خطبهم فيها الحلوف الأكبر وحضهم على الثورة .

وقد كانت « كلوفر » ترسم في خاطرها للمستقبل أزهى
الصور ، وتتخيل القوم قادمين على بناء مجتمع لا تهدده مجاعة
ولا يلهيه سوط ، ولا ترتفع من فوق رأسه عصا . . مجتمع من
الأنداد والنظراء ، كل فرد فيهم يعمل قدر طاقته ، ويحمي

فيه الأقوياء الضعفاء ، كما وقت هي الأوزات الصغيرات في
مزدحم الجمع يوم الخطبة الكبرى من سنابكها الحديدية .
ولكنها في مكان تلك الحياة الباسمة الناعمة التي كانت ترتقيها
وجدت ، ويا هول ما وجدت ، وجدت مجتمعاً أصبح كل
فرد فيه لا يجروء على الكلام ، وباتت الكلاب الضارية فيه
تحوم في كل مكان ، ويشهد الجمع إخوة لهم يذبجون على
أعينهم ذبحاً وتمزق جسومهم تمزيقاً .

تلك كانت الخواطر التي جالت في نفس كلوفر ، فلم يدر
في خالدها لطفة على ثورة ، ولا رغبة في عصيان ، وإنما ساءها
أن تأتي النتائج مناقضة لما كان مأمولاً ، ويضطرب العيش ،
وكان ينتظر أن يكون محبباً مقبولاً . .

إي والله ، ما لهذا الأمر جاهدوا في سبيل بناء الطاحون ،
وتعرضوا لرصاص بندقية جونز ونيرانها .

هذه هي الأفكار التي جالت في صدرها ، وإن لم تجد
التعبير الذي تستطيع به تصويرها .

وأخيراً انطلقت تشد « يا معشر الحيوان » كأنما وجدت
إنشاده بديلاً من الكلمات التي أعوزتها .

وما إن رفعت بالنشيد صوتها حتى انضم إليها الحيوانات

الراقدة بجوارها .

وراح الجميع ينشدونه ثلاثاً ، بنغمت مؤثرة ، حزينة ،
أسية ، لم ينشدوه بمثلاً من قبل أبداً .

ولم يكد الإنشاد للمرة الثالثة ينتهى ، حتى ظهر سكويلر
وفى إثره كلبان ، فدلف نحوهم وهو يلوح كمن يحمل أنباء
خطيرة إليهم وأنشأ يقول إن الرفيق نابوليون أصدر أمراً بإبطال
النشيد القومى « يا معشر الحيوان » ، فلا يجوز إنشاده بعد الآن .
وبهت القوم مما سمعوا .

وانثنى مورييل يقول : « ولماذا ؟ »

فأجاب سكويلر بخشونة : لم تعد بنا حاجة إليه ، فقد
كان هذا النشيد نشيد الثورة ، وقد انتهت الآن ، واستكملت
أغراضها ، وكان إعدام الخونة اليوم الفصل الأخير من فصولها ،
وقد انهزم أعداؤنا فى الداخل والخارج وقد كنا فى هذا النشيد
نرجو أن نظفر بمجتمع أفضل ، وعيش أرغد ، وحياة مليئة
بكل ما كنا نصبو إليه ، وها نحن أولاء قد أقمنا قواعده ،
وأنشأنا صرحه ، فلا جدال اليوم فى أن هذا النشيد لم يعد مطلوباً .
وهم بعضهم بالاحتجاج ، لولا أن أمسكهم الخوف عنه
ولكن الغنم فى تلك اللحظة انطلقت تترنم بلحنها المألوف ،

وهو : « كل ذوات الأربع أخيار ، وكل ذوات الاثنتين أشرار »
وظلت تردده طويلاً حتى قضت به على الحوار الذي كان قائماً.
وهكذا لم يعد أحد يسمع النشيد القومي إطلاقاً .

وقد نظم الشاعر منيموس مكانه أنشودة مطلعها :
« يا مزرعة الحيوان ، حماك الله الخطوب والأحزان . . . »
فكانت هذه الأنشودة تغنى صباح الأحد بعد رفع العلم
فوق السارية .

ولكن الكلمات ذاتها ، واللحن عينه ، لم ترق القوم قدر ما
كان النشيد القديم يروقهم . . ولم يهز منهم الجوانح كما كان
يهزها بنغمه البديع . . .

وانقضت أيام على مشاهد الإعدام التي جرت في الساحة العامة ، وزال الخوف الذي كان يساور الحيوانات ، فتذكر بعضهم ، أو خيل إليهم أنهم تذكروا ، أن الوصية السادسة « تنهى عن قتل الحيوان أخاه الحيوان » .

ولم يشأ أحد منهم أن يذكر ذلك على مسمع من الخنازير ولا الكلاب ، ولكنهم جميعاً شعروا بأن المذابح التي جرت لا تتفق والوصية السادسة .

وأقبلت كلوفر على « بنيامين » تطلب إليه أن يقرأ لها النص ولكنه أبى كعادته أن يتدخل في هذه الشؤون أو أمثالها ، فذهبت تلتمس موريل لتستعين به .

وقرأ موريل النص لها ، وإذا هو « لا يجوز لحيوان أن يقتل حيواناً بغير الحق » .

وبدا لهما أن الكلمتين الأخيرتين جديدتان على سمعهما ، وأنهما لا يستطيعان أن يتذكراها أو يتمثلها وارديتين في النص ، ولكنهما تبينا الآن أن الوصية السابعة لم تخالف ولم تنتهك ،

لأنه لا بد من أن يكون ثمة أسباب صحيحة لقتل الخونة الذين تأمروا مع سنوبول .

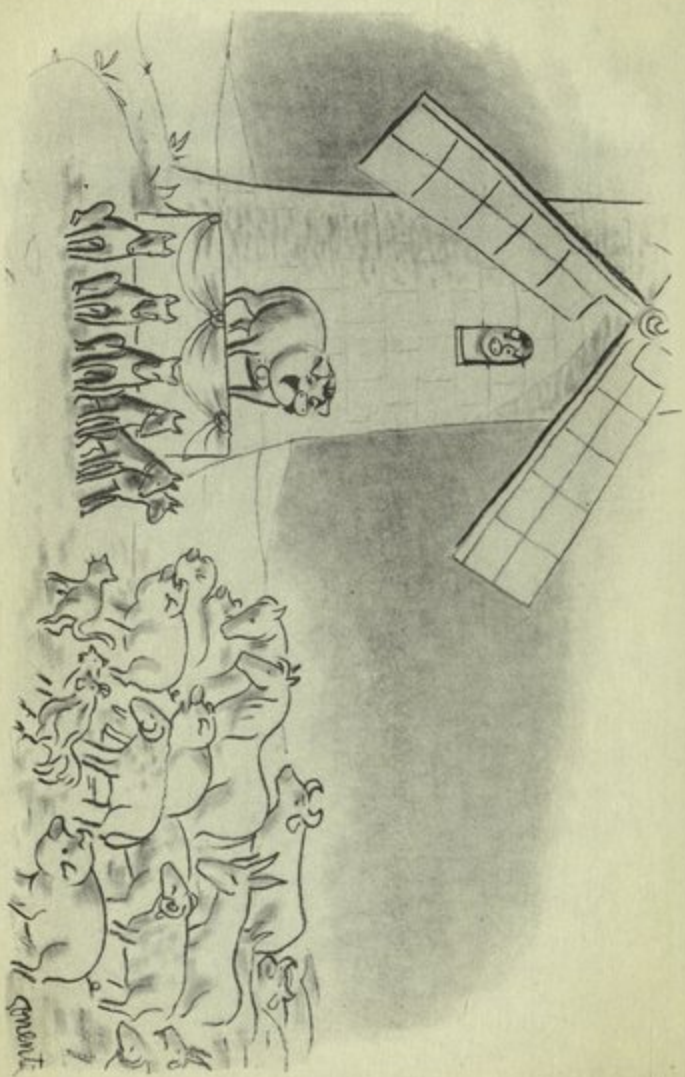
وكدح الحيوانات في ذلك العام أشد مما كدحوا في العام الفائت ، فقد كان مطلوباً منهم إعادة بناء الطاحون ، وجعل جدرانهم ضعفي كثافته الأولى ، والفراغ منه في الموعد المقرر ، إلى جانب أعمالهم اليومية المألوفة في المزرعة .

ومرت عليهم أيام خيل إليهم فيها أنهم أصبحوا يشتغلون ساعات أطول مما كانوا يشتغلون في الأيام الخالية ويتلقون طعاماً أقل مما كانوا متلقيه .

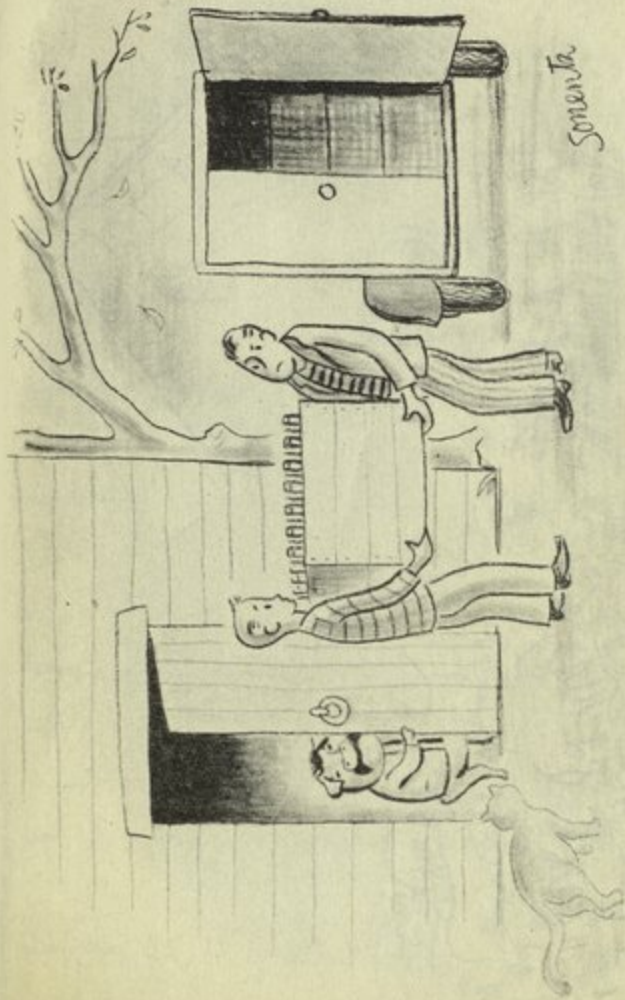
واعتماد سكويرلر في اجتماعات الآحاد أن يمسك بورقة طويلة فيتلو منها عليهم أرقاماً وإحصاءات تثبت أن الإنتاج الغذائي ربما وزاد أضعافاً .

ولم يجد الحيوانات سبباً يدعو إلى تكذيبه ، لأنهم لم يعودوا يذكرون حق التذكر الأحوال التي كانت قبل الثورة ، وإن شعروا أنه ستأتي عليهم أيام يقل فيها الإنتاج عن حاجتهم . وكانت الأوامر الآن تصدر من طريق سكويرلر أو أحد الخنازير الأخرى .

ولم يعد نابوليون يتبدى في المجمع كما كان يفعل منذ



« وجاء نابوليون ففسد المنصة » ص ١٣٨



« وفي صبيحة اليوم الموعد جاءت مركبة يدال تحمل صندوقاً ضخماً فوقفت بباب الدار
وحمل الصندوق إليها » ص ١٧١

أسبوعين فإذا ظهر لهم اتخذ الكلاب المفترسة وحدها حرساً ،
 بل اعتاد أن يصطحب أيضاً ديكاً أسود يمشى فى المقدمة بمثابة
 حامل طبل ليرسل صياحاً مستطيلاً قبل أن يهجم نابوليون بالكلام .
 وقيل إنه أصبح فى الدار يقيم فى جناح خاص ، بمعزل عن
 معاشر الخنازير الآخرين .

وذهب الرواة يقولون إنه اعتاد كذلك أن يأكل وحده ،
 وأن يقوم كلبان على خدمته فى وجباته ، ويسعيا بالصحاف
 بين يديه ، ويتناول ألوان الطعام فى الأطباق الفضية التى
 كانت محفوظة فى « صوان » الدار ودواليبها .

وأذيع كذلك أن البندقية ستطلق مرات معينة فى عيد ميلاده
 كل عام ، فضلاً عن إطلاقها فى عيد « الثورة » والأيام
 المشهودة فى التاريخ .

ولم يبق أحد فى المزرعة يتحدث عنه كما مضى مجرداً من
 الألقاب ، بل أصبح يلقب « بزعيمنا الرفيق نابوليون » ،
 وطلب من معاشر الخنازير أن يخلعوا عليه صفات أخرى ، كقولهم
 « أبا الشعب » و « الزعيم المرهوب » و « حامى الأنعام »
 و « بطل الأنام » ، وصديق الأوز والشياه ، وما إليها من
 الأسماء والأعجاء .

وجعل سكويلر في خطبه وبياناته يتحدث عنه وعيناه
مغرورقتان بالدمع ، وهو يصف حكمته وأصاله رأيه ، وطيبة
قلبه ، والحب الصادق الذى يكنه للحيوانات في كل مكان ،
ولا سيما البائسين منهم والمكدودين الذين يعيشون منهم في رق
وعبودية وامتهان .

وأصبح شائعاً أن ينسب إليه الفضل في كل عمل يتم ،
ونجاح يتحقق ، ورخاء يتوافر ، وميسرة تعرض ، حتى لنستمع
أحياناً لإحدى الدجاجات وهي تقول لصاحبتها : « بفضل
زعيمنا المحبوب ، الرفيق نابوليون ، استطعت أن أضع خمس
بيضات في ستة أيام متوالية . . » أو تمر ببقرتين وهما تتحاوران
إذ تقول واحدة منهما لزميلتها وهما تشربان من التربة : « ما أعذب
طعم هذا الماء ، إنه قد طاب منها بفضل زعامة الرفيق نابوليون
وإخلاصه ومحبته » .

وقد تمثل الشعور العام في المزرعة خلال قصيدة عنوانها
« الرفيق نابوليون » من نظم الشاعر « منيموس » وفيها يقول :

« أبا الشعب ، وحييب القلب

منبع الرخاء ، ومصدر الثراء

حامى الضعفاء وصديق الكادحين

إن روحى لتهفو حين أرنو إليك
 ومشاعرى لتطفز إذ أنظر إلى عينيك
 لأنك كالشمس فى السماء
 أيها الرفيق نابوليون . . . !
 يا من تمنح الجميع ما يرتجون
 وتملأ بالطعام المعدّ والبطون
 وتقر بالنوم العميق العيون
 وترعى المكدودين والبائسين
 أيها الرفيق نابوليون . . . !
 ليت لى خنزيراً رضيعاً
 ينشأ سميعاً مطيعاً
 وينمو على الوفاء لك
 وتكون أول هتفته بك
 ليحى الرفيق نابوليون . . . !

وطرب نابوليون لهذه القصيدة وأمر بأن تنقش على جدار
 الجرن الكبير فى الطرف المقابل لموضع الوصايا السبع ، تعلوها
 صورة جانبية له رسمها « سكويلر » بالطلاء الأبيض .
 وفى تلك الأيام انشغل « الزعيم » بمفاوضات معقدة عن يد

السمسار « ويمبر » مع السيدين فردريك وبلكنجتون .
ولم تكن أكداش الخشب قد بيعت إلى ذلك الحين .
وكان فردريك أشد رغبة من الآخر في شرائها ، ولكنه لم
يعرض سعراً معقولاً .

وتجددت يومئذ الإشاعات عن مؤامرة جديدة كان فردريك
ورجاله يحبكون أطرافها لغزو المزرعة وتخريب الطاحون ،
غيرة منه وحقدًا .

وقيل إن سنوبول لا يزال يتردد على مزرعة « بنشفيلد » .
وما إن انتصف الصيف حتى روع الحيوانات برواية حملتها
إليهم ثلاث دجاجات ، أو قل باعتراف تطوعن به ، وهو
أن سنوبول أوحى إليهن أن يقتلن نابوليون .
فكان جزاؤهن الموت العاجل .

وشددت التدابير والاحتياطات لحراسة نابوليون وتأمين حياته
فأقيمت أربعة كلاب ليلا بجانب مرقده ، كل كلب منها في
ناحية ، وعهد إلى حلوف صغير يدعى « ينكى » بأن يذوق
من طعامه قبل أن يقدم إليه مخافة أن يكون الأعداء قد دسوا
فيه السم ليقتلوه .

وأشيع يومئذ أن نابوليون قد اتفق على بيع الخشب للسيد

بلكنجتون ، وأنه مقدم أيضاً على عقد اتفاق على تبادل أغذية ومحاصيل مع القرية المجاورة .

وكانت العلاقات بينه وبين الرجل قد توثقت في تلك الأيام من طريق السمسار ويمبر ، وازدادت مودة .

وكان الحيوانات يستريون به ، وإن آثروه كثيراً على الآخر فقد كانوا يكرهونه ويخافونه .

وكلما أوغل الصيف ، وقارب بناء الطاحون على التمام ، راجت الروايات عن توقع هجوم أشد وأعنف من الهجوم السابق ، فقد قيل إن فردريك ينوى أن يهجم في عشرين مقاتلاً مدججاً بالسلاح .

وجاءت الأنباء من قرية « بنشفيلد » ترى عن قسوة فردريك على حيواناتها ، واشتداد وطأته عليها ، فقد ظل يضرب حصاناً عجوزاً حتى أماته تبريحاً وإيلاماً ، وأنه جعل يترك البقر حتى تنفق جوعاً ، وأنه قتل كلباً بإلقائه في المرحل لتأكله النيران وأنه يتلهى إذا أقبل المساء بمشهد الديكة وهي تشتجر ، ويدمى بعضها بعضاً .

وغضب معاشر الحيوانات وغلا الدم في عروقهم حين سمعوا هذه الروايات عن سوء معاملة الرجل لإخوانهم في المزرعة القريبة

حتى لقد تصايحوا مطالبين بالتخلى بينهم وبين الهجوم عليها وإخراج ذلك المستبد الطاغية منها ، وإطلاق سراح الحيوانات المعذبة فيها على تلك الصورة المنكرة .

ولكن سكويلر نصح لهم بوجوب تحامى الطيش والتزق والاعتماد على الرفيق نابوليون وحكمته وسداد رأيه ، فعدل القوم عما كانوا يفكرون فيه ، وإن ظلت كراهيتهم لفردريك تتفاقم وتزداد اشتداداً .
وفي صباح يوم أحد ظهر نابوليون فى الجرن ، ومضى يخطبهم قائلاً إنه لم يفكر يوماً فى بيع الأخشاب له ، لأنه رأى أن التعامل مع مجرمين من هذا القبيل أمر لا يتفق والكرامة .
وأمرت الحماة اللاتي كن يوفدن إلى الخارج لبث تعاليم الثورة بأن لا يذهبن إلى مزرعة فوكسوود ، وأن لا يتنادين بسقوط العدو الميين .

وقبل ختام الصيف انكشفت مؤامرة أخرى لسنوبول ومحاولة جديدة من محاولاته .

فقد تبين أن حقول القمح ملأى بأعشاب خبيثة تضر بالمحصول ، وظهر أن سنوبول فى زوراته الليلية للمزرعة جعل يمزج بذور القمح ببذور من تلك الأعشاب .
وجاء فرخ من الأوز كان ضالعاً معه فاعترف لسكويلر

بذنبه وبادر إلى الانتحار بابتلاع بقلات سامة .

وعلم الحيوانات أيضاً أن سنوبول لم ينعم يوماً عليه بوسام البطولة كما كان فريق كبير منهم يعتقدون ، إذ قيل لهم إن حديث هذا الوسام كان « خرافة » تناقلها بعضهم عقب معركة السقيفة ، وإن سنوبول نفسه هو الذي روجها وأشاعها في المجامع ، وإن الواقع أنه قد وجهت إليه انتقادات مريرة ، وعيب على خيائته في المعركة وخوره في القتال .

ولكن فريقاً من القوم بهتوا مرة أخرى مما سمعوا ، وإن عاجلهم « سكويلر » كدأبه بمنطقه العجيب ومغالطاته المتقنة ، لإقناعهم بأن الذاكرة قد خانتهم .

وتم بناء الطاحون ، في الخريف ، بجهد بالغ ، ودأب مضمّن ، فقد كان على القوم أيضاً جمع الحصاد ، ونقل المحصول إلى المخازن .

ولكن بقي الحصول على الآلات وتركيبها .

وكان « ويمبر » السمسار يتفاوض في مسألة شرائها ، وإن تم التشييد ، واكتمل البناء .

لقد أنجز القوم العمل في ميقاته ، برغم كل عقبة واجهتهم ، وقلة خبرتهم ، وسذاجة وسائلهم وأدواتهم ، ومؤامرات سنوبول

ودسائسه عليهم . .

وأحسوا النصب والإعياء ، ولكن أخذتهم العزة ، واستولى عليهم الزهو والخيلاء ، ففضوا يطوفون بذلك البناء البديع ، وقد لاح لأعينهم اليوم أمتن وأجمل مما كان يبدو حين أتموه أول مرة .

وكانت الجدران ضعف سمكها القديم ، وأمتن بناء ، فلا يتسنى لأحد بعد الآن تخريبها أو هدمها إلا إذا استخدم المواد المتفجرة على أقل تقدير .

وما كادوا يتخيلون المتاعب التي احتملوها ، والصعاب التي واجهوها ، والتطور العظيم الذي سيطرأ على حياتهم حين يدور الطاحون ، وتشتغل القوى المحركة ، حتى نسوا التعب الذي أذركهم ، والإعياء الذي حل بهم ، وطفقوا يرقصون ويطفرون من حول الطاحون ، مرسلين صيحات الفرح والفوز المبين .
وجاء نابوليون نفسه ، بجلالة قدره ، وكلاب حراسته ، والديك الصياح في مقدمة موكبه وركبته ، ليتفقد العمل الناجز ، وراح يهنئ معاشر الحيوانات بعملهم المجيد ، وجهدهم المشكور ، وأعلن أن الطاحون سيسمى « طاحون نابوليون » .

وبعد يومين دعى القوم إلى اجتماع خاص في الجرن الكبير

ولشد ما كانت دهشتهم حين أذاع نابوليون عليهم أنه قد باع الأخشاب للمستمر فردريك ، وأن مركبته ستأتى من الغداة فتحملها إليه ، فقد تبين لهم أن نابوليون كان يتفق سراً مع فردريك ، وإن ظل طيلة الأيام الماضية يظهر المودة لمنافسه بلكنجتون .

وانقطعت العلاقات بعدئذ معه ، بل أرسلت إليه كتب شديدة اللهجة ، ووجهت إليه شتائم وسباب ، وقيل للحمام أن لا يزور مزرعته ، فى حين مضى نابوليون يؤكد للحيوانات أن كل ما قيل عن غزو محتمل لا أصل له ، وأن الروايات التى سمعوها عن قسوة فردريك على حيواناته مبالغ فيها كل المبالغة ، وأكبر الظن أن سنوبول هو الذى بثّ صنائعه لترويحها .

وتبين عندئذ أن سنوبول لم يكن مخبئاً فى مزرعة بنشفيد وأنه لم يذهب إليها ولا مرة فى حياته ، بل أصبح يعيش فى ترف وبذخ بمزرعة فوكسوود وأنه ظل يتقاضى منه راتباً شهرياً منذ سنين .

أما الخنازير فكانت فى فرح عظيم بمكر نابوليون وذكائه فقد تظاهر بالعودة لبلكنجتون حتى حمل منافسه فردريك على

رفع السعر اثني عشر جنياً .

وأنشأ سكويلاي يحدث القوم عن براعة الزعيم بأسلوبه الخاص فقال: إن أبداع دليل عليها هو أنه لم يكن واثقاً بأحد ولا فردريك نفسه ، فقد أراد هذا أن يدفع الثمن بشيك أو « حوالة » ، أى بورقة يتعهد فيها بالدفع ، ولكن نابوليون كان أذكى منه وأكثر مكرراً فأبى إلا أن يتقاضى الثمن أوراقاً مالية ، وأصر على قبضه قبل نقل الخشب فلم يسع فردريك إلا الرضوخ وأتى بالمال ، وهو ما يكفي لشراء الآلات المطلوبة للطاحون .

وبادر الذى اشترى الخشب إلى نقله فى عجلة بالغة ، وما كاد يحمل من المزرعة حتى وجهت الدعوة إلى اجتماع خاص فى ساحة « الجرن » لمشاهدة الأوراق المالية التى اجتمعت من بيع الخشب .

وجاء نابوليون فصعد المنصة وهو يبتسم ويزين صدره بالأوسمة ، وقد وضع الأوراق بجانبه فى كومة فوق صحفة من الخزف جىء بها من مطبخ الدار وأخذ الحيوانات يسرون صففاً صففاً فى شكل عرض عام لإلقاء نظرة على الأوراق .

وجاء الحصان « بوكسر » فقرب منها أنفه ليشمها ، وإذا بها من هبة أنفاسه تكاد تتطاير من فوق صحفتها .

ولكن لم تنقض ثلاثة أيام حتى ثارت في المزرعة ضجة بالغة.
فقد أقبل السمسار « ويمبر » شاحب اللون في مثل شحوب
وجوه الموتى ، وهو يعدو على دراجته ، وما كاد يبلغ فناء
« الدار » حتى ألقاها جانباً واندفع نحو البيت .

وما هي إلا لحظة أخرى حتى ارتفع صوت نابوليون من
جوف الدار وهو يكاد يتميز من الغيظ .

ولم يلبث السر أن شاع في المزرعة وملاً الاسماع .

لقد ظهر أن الأوراق المالية . . . مزيفة !

وتبين أن فردريك أخذ الخشب بلا مقابل . . .

وأمر نابوليون بدعوة الحيوانات على الأثر ، وراح بصوت
مرعب ينطق بالحكم بالموت على الرجل ، قائلاً إنه سيغلى
في الماء إذا جرى به حياً .

وانطلق ينذر القوم بأن هناك ما هو أمر وأدهى ، بعد هذه
الخيانة الصارخة ، فقد بات منتظراً في أية لحظة أن يعمد
فردريك ورجاله إلى الغزو المرتقب .

وأقيم الحراس على جميع المسالك المؤدية إلى المزرعة ، وأوفدت
أربع حمامات إلى مزرعة فوكسوود يحملن رسالة تراض وصلاح
على أمل استعادة العلاقات الحسنة مع بلكنجتون .

ولكن الغزو بدأ من غداة اليوم التالى . . .
فقد جاء الكشافون مع بكرة الصبح يهرعون قائلين إن فردريك
ورجاله قد جاوزوا الساعة أبواب المزرعة .

وما إن تسمع الحيوانات بالنبأ حتى خرجوا فى شجاعة للقائهم
ولكنهم فى هذه المرة لم يظفروا بالنصر الميسور السهل الذى
ظفروا به فى معركة السقيفة .

فقد كان المهاجمون خمسة عشر ، وعدد البنادق التى فى
أيديهم ستاً ، وما إن أصبحوا على قيد خمسين متراً ، حتى
أطلقوا النار .

ولم يقو الحيوانات على مواجهة الرصاص ، فلم يلبثوا ، برغم
تشجيع نابوليون لهم ، وحماسة بوكسر فى حفزهمهم ، وتقوية
قلوبهم ، أن ولوا الأدبار ، ومنهم النازف ، والجريح .
ومضوا يهتمون بأبنية المزرعة ، ويطلقون من «الكوات» والثقوب .
واستولى العدو على المراعى والطاحون .

وبدا نابوليون نفسه حائراً لا يدرى ماذا هو صانع .
وجعل يروح ويغدو وهو صامت ، يهز ذنبه المتقلص هزاً ،
ويرسل نظرات متلهفة صوب مزرعة فوكسود قائلاً فى نفسه إنه قد
يكسب الميدان لو أن بلكنجتون ورجالهم بادروا الساعة إلى نجدهته .

ولكن الحمامات الأربع اللاتي كان قد أوفدهن في اليوم السابق عدن ، وهن يحملن رسالة منه تحوى هذه الكلمات :
« هذا ما جنته أيديكم » !

وكان فرديك ورجاله قد وقفوا عندئذ بالطاحون .
وكان الحيوانات ينظرون إليهم ليروا ما هم فاعلون ، ولشد ما كان جزعهم إذ أبصروا رجلين يخرجان فأساً ومجراًفاً ليهدما الطاحون .

وصاح نابوليون قائلاً : هذا مستحيل ! لقد بنينا الطاحون أكتف وأقوى من هذا الذى يحاولون ، فلن يهدموه على هذا النحو ولو بعد أسبوع . . . شجاعة وجلداً أيها الرفاق !
ولكن الحمار بنيامين جعل يراقب حركاتهم بكل انتباه ، فإذا الرجلان يحتفران حفرة فى الأرض بقرب قاعدة الطاحون .
وأطرق بنيامين برأسه وأنفه المستطيل وهو يكاد يلهو بهذا المشهد الأليم .

وأنشأ يقول : هذا ما كنت أرتقبه ، أفلاترون ما هم فاعلوه ؟
إنهم بعد لحظة واضعون باروداً فى تلك الحفرة . . .
ولبث القوم ينظرون مروعين .
واستحال عندئذ عليهم الخروج من مكنتهم الذى لاذوا به .

ولم تمض دقائق معدودة حتى رأوا الرجال يعدون في كل ناحية مبتعدين .

وإذا بدوى رهيب يغمر الفضاء بقصف شديد .

وتطارت الحماة في جو السماء .

وانبطح الحيوانات على الأرض وأخفوا وجوههم ، خلا نابليون .

ولما استوا على سوقهم ، أبصروا دخاناً كثيفاً يتعالى فوق الطاحون .

ولكن الهواء لم يلبث أن بدده .

لقد توارى . . . الطاحون !

وعلى هذا المشهد عاودت القوم شجاعتهم ، وغرق اليأس والرعب اللذان استوليا منذ لحظة عليهم في موجة من الحق على هذا الجرم الشنيع ، والإثم الكبير .

وارتفعت من الحناجر صيحة غضب وانتقام ، واندفعوا دون انتظار لأوامر أخرى ، للانقضاض بجمعهم على العدو ، غير مبالين بالرصاص المتهاوى من حولهم كالمنظر الوابل .

ونشبت عندئذ معركة وحشية مريرة . . .

وظل الرجال يطلقون النيران ، ولم يكد الحيوانات يطبقون

عليهم ، حتى أعملوا فيهم الهراوات والأحذية الثقالة .
وسقط في الحومة ثلاثة خراف وبقرة وأوزتان مستشهدين ،
وكاد كل واحد من القوم لا يخلو من جروح ، حتى نابوليون
ذاته الذي كان يوجه المعركة من المؤخرة ، أصابته رصاصة
فأطارت طرف ذنبه .

ولكن الرجال أيضاً لم يسلموا من الأذى .
فقد هشمت حوافر بوكسر رؤوس ثلاثة منهم .
ونطحت بقرة رابعاً في بطنه فبقرتة .
وتمكن الكلبتان جيسى وبلوبل من تمزيق سراويل رجل
آخر بمخالبهما .

ولم تكد الكلاب التسعة التي تؤلف الحرس المحيط بنابوليون
تتسلل تحت ستار من السياج ، وتظهر على أعين الغزاة ،
وهي ترسل نباحاً يملأ الأفئدة رعباً ، وتحاول الالتفاف على
المهاجمين ، حتى سرى الفزع في صفوف المعتدين ، من أن
يحاط بهم ، فصاح فردريك برجاله أن يبادورا إلى الخروج
قبل فوات الأوان .

وما هي إلا لحظة أخرى حتى انطلقوا يطلبون النجاة بالأرواح .
وتبعهم الحيوانات مطارديهم إلى نهاية الحقول ، واستطاعوا

ركلهم بالسوق والأقدام ، في اللحظات الأخيرة قبل أن يتسللوا
من السياج مدبرين .

لقد انتصر معاشر الحيوانات . . .

ولكنهم كانوا من النصر مكدودين دامين نازفين .

وبدأوا في رفيق يظلمون إلى المزرعة منقلين .

وأثار مشهد الرفاق المجندين فوق الثرى عبرات الأحياء الباقين .

ووقفوا قليلا في الموضع الذي كان يوماً مكان الطاحون في

صمت وجوم .

إي والله !

لقد ذهب الطاحون .

ولم يبق لجهدهم في ذلك الموضع أثر .

ولو رأوا إعادة بنائه لما وجدوا الأمر ميسوراً كما كان أول

مرة ، فقد تناثرت الأحجار ، وتوارت عن الأبصار ، لأن قرة

الانفجار ، طوحت بها مئات الأمتار ، ودكت البناء دكاً .

وبدا لهم كأن الطاحون لم يغن بالأمس .

وما إن اقتربوا من المزرعة ، حتى رأوا سكويلا يتسلل نحوهم

وكانوا قد التمسوه في المعركة فلم يجدوه .

وكان يهز ذيله وهو الفرح المطمئن .

- ٤ - سرير دون أغطية
٥ - ولا أن يعاقر القمر
إلى صد الإفراط
٦ - ولا أن يقتل ميرانا
آخرون سبب
٧ - الحيوانات جميعا
ساودن





و ما آن شفی حافر بوکسر حتی عاد اشد من قبل جهدا واکثر کدسا ، ص ۱۶۰

وسمع القوم من جانب المزرعة دوىً قذيفة .

فقال بوكسر : « لماذا أطلقت هذه القذيفة ؟ »

قال سكويلر : « للاحتفال . . . بالنصر » ؟ ؟ .

ولكن بوكسر راح يقول ساخراً : « أى نصر ؟ ؟ »

وكانت ركبتاه تقطران دماً ، وأحد حوافره مشقوقاً ، وحدوته

متطايرة ، والرصاص مستقرّاً في إحدى ساقيه الخلفيتين .

ومضى سكويلر يقول : « أتسألني أيها الرفيق عن النصر ،

ألم نطرد العدو من أرضنا ، ألم نطهر منه تربة وطننا

المقدسة . . ؟ »

وقال بوكسر : « ولكنه دمر طاحوننا الذى قضينا عامين

كاملين فى بنائه » .

قال : « وماذا يهم ؟ ؟ سنبني طاحوناً آخر ، بل ستة طواحين

إن شئنا . . أفلا تقدر أيها الرفيق العمل العظيم الذى قمنا به . .

لقد كان العدو يحتل هذه الأرض ذاتها التى نقف فوقها ،

ولكننا بفضل زعامة الرفيق نابوليون قد استعدنا كل شبر منها » .

قال : « لقد كسبنا إذن ما كان من قبل لنا ! »

قال : « وهذا هو محل فوزنا ونصرنا . . .

وراحا يظلمعان إلى الفناء . . .

وكانت الرصاصات التي استقرت تحت أديم بوكسر تؤله
أشد الإيلام .

وتمثل الجهد المضنى الذى ينتظره فى سبيل إعادة بناء الطاحون
من القواعد .

وبدا له أنه على معاودة الجهد قادر .

ولكنه لأول مرة شعر بأن سنه قد تقدمت به ، وأن قواه
وعضلاته لم تعد كما كانت ..

ولما رأى الحيوانات العلم الأخضر منصوباً ، وسمعوا طلاقات
النار تطلق سبع مرات ، وأصغوا إلى الخطبة التي ألقاها عليهم
نابوليون مهتئاً لهم بجهادهم المثمر ، ونضالهم الرائع ، وبلائهم
الحسن ، بدا لهم أنه من الجائز أن يكونوا قد ظفروا حقاً بنصر
مبين .

واحتفل القوم بدفن الضحايا والشهداء .

وتولى بوكسر وكلوفر جرّ المركبة التي كانت تحمل النعوش
وسار نابوليون فى طليعة المشيعين .

وانقضى يومان فى مواكب واحتفالات . . .

وترددت الأغاني والأناشيد ، وتكررت الخطب والكلمات ،

والقذائف والطلقات ، ومنح كل حيوان تفاحة إضافية ،

وكل طائر أوقيتين من القمح ، وكل كلب ثلاث قطع من
البقساط .

وأعلن أن المعركة ستدعى « معركة الطاحون » !
وأمر نابوليون بصنع وسام جديد يطلق عليه « وسام العلم
الأخضر » .

ومنح نفسه أول وسام منه .
وفى بهرة الأفراح ، والليالى الملاح ، نسي القوم حديث
الأوراق المالية المزيفة

وبعد أيام عثر الخنازير على صندوق من « الويسكى » فى
أقبية المزرعة .

ولم يكن أحد قد فطن إليه عند احتلالها .
وفى تلك الليلة بالذات ارتفعت من جانب الدار أصوات
تغنى أغنيات فاحشة ، وترسل ألحاناً فاسدة .

وطرقت أسماع الحيوانات فى خارج البيت أنغام من النشيد
الوطنى القديم ، فاثارت فى نفوسهم دهشة بالغة .

وشوهد نابوليون فى موهن من الليل يخرج من الدار واضعاً
فوق رأسه قبعة قديمة كانت للسيد جونز فى أيامه الحالية ومضى
يلف الفناء لفتاً ، ويعود فيختنى عن العيان .

وأصبح الصباح ، فساد الدار سكون طويل ، كسكون
القبور والأجداث .

ولم يظهر خنزير واحد في الحى .

وبدا سكويلر للقوم حين ارتفعت الضحى ، وهو يمشى
متثاقلاً منهوك القوى ، يتدلى ذنبه من خلفه متسحباً ، وتلوح
عليه أعراض المرض الشديد .

وما لبث أن جمع إليه الحيوانات فأبلغهم أن لديه نبأ خطيراً
وهو أن الرفيق نابوليون يختضر . . . !

وسرت في الصفوف صيحة جزع .

وارتفع العويل .

وفرش القش فوق الثرى خارج الدار وعلى الطريق المؤدى
إليها ، ومضى القوم يمشون على أطراف أقدامهم حتى لا يترعج
المريض . . . !

وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ماذا هم صانعون إذا
انتزع الموت زعيمهم .

وراجت الإشاعة بأن « سنوبول » عرف أخيراً كيف يحتال
لدس السم له في طعامه .

وقبل الظهيرة جاء سكويلر نبأً جديداً .

قال إن الرفيق نابوليون، كآخر قرار له في هذه الدنيا، قد أمر بأن تكون عقوبة الإعدام جزاء على شرب الخمر .
ولكن لم يأت المساء حتى طرأ التحسن على صحته ، وفي صباح اليوم التالي جاء سكويلر يحمل إليهم نبأ بهيجاً .
لقد أخذ الزعيم يتماثل إلى العافية .

وما لبث نابوليون في المساء أن عاود العمل .
وعلم القوم في اليوم التالي أنه عهد إلى سمساره بشراء بعض الكتب عن طريقة التخدير ووسائل التقطير .
ولم ينقض أسبوع آخر حتى أصدر أمراً بأن تحرث الأرض المتراصة خلف البستان ، والتي كانت النية متجهة إلى تخصيصها للحيوانات التي قعدت عن العمل لتكون مرعى لهم في سن الشيخوخة والتقاعد .

وقيل في تبرير هذا الأمر الجديد إن المرعى قد أجذب وأصبح بحاجة إلى إعادة زرعته وتجديد نضرتة ، وإصلاح برسيمه .
ولكن القوم تبينوا أنه يريد أن يزرع الأرض شعيراً .
وحدث يومئذ حادث غريب شقّ على القوم فهمه .
ففي ذات ليلة طرق الأسماع فجأة صوت صدمة شديدة في رجة الدار ، فخرجت الحيوانات من المرباط مروعة ، وكانت

الليلة قمراء ، فأوا عند أسفل الجدار الخارجى الذى نقشت عليه الوصايا السبع سلماً من الخشب مفلوقاً قطعتين وبصروا بسكويلر منبطحاً بجانبه ، كأنما قد سقط من فوقه ، وعن كئيب منه وعاء الطلاء مقلوباً ، والفرشاة ملقاة غير بعيد .

ولم تلبث الكلاب أن أحاطت بسكويلر ، ومشت من حوله تحرسه ، حين تحامل ونهض من مكانه لينكفيء إلى مرقده . ولم يستطع أحد أن يفهم السر إلا « بنيامين » فقد راح يطرق برأسه إطرافه الخبير العليم ، وإن لم يشأ أن يقول شيئاً . ولكن بعد أيام أراد « موريل » أن يقرأ الوصايا السبع كدأبه فإذا به يجد بينها نصّاً لم يذكر أنه كان قد قرأه من قبل . فقد كان يعلم أن الوصية الخامسة تنهى عن « شرب الخمر » ، ولكن لشد ما كانت دهشته حين وجد تعديلاً أدخل عليها ولم يكن وارداً فى النص .

وكانت الكلمات التى بدت له زائدة هى . . . « إلى حد الإفراط » . . . !

ولبت حافر « بوكسر » المشفق وقتاً طويلاً قبل أن يستكمل الشفاء .

وكان القوم قد عاودوا العمل في سبيل بناء الطاحون الذي نسفه الأعداء عقب النصر والاحتفال به .

وقد أبى بوكسر أن يستريح ولو يوماً واحداً ، ورأى من العزة والفخار أن يكتم ما به من ألم ، ويدفن ما في نفسه من وجيعة ، وإن مضى في المساء يكشف « كلوفر » بها ، ويسر إليها همه وألمه ، فكانت تعالج الحافر المشقوق « بلبخات » من بعض الأعشاب تصنعها بالاجترار واللوك بفمها ، وطفقت هي وبنيامين يناشدانه أن لا يحمل في العمل على نفسه ، ويخفف قليلاً من جهده ، وهي قائلة له : « إن رثى الحصان يا أخى لا تعيشان أبداً » .

ولكنه لم يكن يصغى إليها ، بل لا يفتأ يقول إنه لم يبق له في هذه الدنيا غير مأرب واحد ، وهو أن يشهد الطاحون قائماً قبل اعتزاله .

وكانت القاعدة التي وضعت بعد « الثورة » عند اشتراع القوانين الجديدة ، وسن المبادئ المثالية ، لبناء المجتمع من جديد ، وتنظيم الدولة الناشئة ، قد جعلت السن المقررة للاعتزال « والمعاشات » اثنتى عشرة للخيل والخنازير ، وأربع عشرة للبقر وتسعاً للكلاب ، وسبعاً للغنم ، وخمساً للأوز والدجاج .

وتقررت يومئذ معاشات سمحة كريمة للمتقاعدين .
ولكن لم يكن أحد من الحيوانات قد بلغ يومئذ السن المقررة ، وإن بدأ البحث يتجدد فى هذا الشأن من الحين إلى الحين .
وما إن سمع القوم فى تلك الأيام بأن قطعة الأرض الصغيرة المحدودة التى كانت مخصصة لأرباب المعاشات خلف البستان قد حُرثت وهيتت لزراعة الشعير ، حتى أشيع أن ركنا من المرعى سيحجز ويخصص للمتقاعدين ، وأن معاش الحصان سيكون خمسة أرتال من الحبوب فى اليوم صيفاً ، وخمسة عشر من التبن شتاء ، إلى جانب جزر أو تفاح فى المواسم والأعياد .
وكان بوكسر منتظراً أن يتم الثانية عشرة فى صيف العام القادم .
ولكن الحياة كانت يومئذ قاسية ، وجاء الشتاء قارساً كما كان فى العام الماضى ، وشح الطعام ، فأنقصت الجراية مرة أخرى ، إلا عن الخنازير والكلاب .

وقال « سكويلر » في تبرير هذا الإجحاف ، والتشفع لذلك التمييز ، إن مراعاة المساواة المطلقة في توزيع الأغذية تتنافى مع المبادئ الجديدة .

ولم يشق عليه أن يثبت للحيوانات أنهم في الواقع لا يعانون نقصاً في الأغذية ، وإن بدا ذلك لهم ، واقتضى الأمر في الظروف الحاضرة إعادة تنظيم الجرايات .

وكان سكويلر قد اعتاد أن يستخدم هذا التعبير « إعادة تنظيمها » بدلا من كلمة « إنقاصها »

ومضى يقارن بين الأرقام في النظام الجديد ، وبينها على عهد الطغاة الغابرين ، ليثبت لهم بالتفصيل أنهم قد ظفروا من الشعير والذرة والتبن والبرسيم والكرب بمقادير تفوق ما كانوا يجدونه في ذلك العهد الممقوت ، وأنهم يشتغلون ساعات أقل مما كانوا مشغليه ، وأن مياه الشرب أصبحت أنظف وأصلح ، وأن الوفيات أقل وأندر ، وأن الأطفال أحسن منقلباً .

وصدق القوم كل كلمة قالها لهم ، فقد كانوا يعلمون أن الحياة اليوم أشق وأعنف ، وأنهم كثيراً ما يعانون المسغبة ويقاسون البرد ، والكد في العمل ، ولكن الأيام الخوالي كانت شرّاً من ذلك كله وأسوئ مردّاً .

ألم يكونوا من قبل عبيداً أرقاء ، وهم اليوم أحرار طلقاء .
وراح سكويلر يعقب على هذه المقارنة الأخيرة بقوله : وهذا
هو الفارق « بل كل الفارق » !

وزادت الآن الأفواه التي تطلب الطعام ، لكثرة التوالد ،
ووفرة النسل ، فقد عشت الخنازير الأربع معاً في الخريف
فولدن فيما بينهن ثلاثين وليداً بين ذكران وإناث .

وجاء أولئك الولدان كلهم صلحاً ، وكان نابوليون هو الخلوف
الأصلع الفذ في المزرعة ، فلا نحسب ثمة عناء في معرفة من
يكون أباً لأولئك الولدان . . . !

وقد أذيع بعدئذ أن النية متجهة إلى بناء مدرسة في حديقة
الدار ، إذا تيسر شراء الطوب والخشب ، بل لقد مضى
نابوليون نفسه يتولى أمر تعليمهم في المطبخ وتنشئتهم على يديه .
وظفق الصغار يترضون في الحديقة وينهون عن الاختلاط
بصغار الحيوانات الأخرى .

وتقرر أيضاً كقاعدة مرعية أن يتنحى كل حيوان عن
الطريق إذا التقى فيه بخنزير ، وأن يسمح لمعاشر الخنازير
وحدهم ، وعلى اختلاف درجاتهم ، بوضع أشرطة خضر حول
أذانهم في أيام الأعياد .

وكانت المزرعة بحاجة إلى المال ، لتوفية مطالب المدرسة التي أعلن عن قرب إنشائها من الآجر والرمل والجير ، كما كان الموقف يقتضى الادخار لشراء الآلات المطلوبة للطاحون . واحتاجت المزرعة أيضاً إلى زيت الاستصباح والشمع والقناديل والحصول على مقادير من السكر لصنع الحلوى لنابوليون وحده ، فقد ضمن به على الخنازير الآخرين محتجاً بأن أكل السكر يزيدهم سمناً وترهلاً .

واقضى الأمر شراء حاجات أخرى مختلفة لسداد العجز في العدد والمسامير والحبال والفحم والأسلاك وما إليها .

وقد عمد الخنازير إلى بيع أحمال من التبن وجزء من محصول البطاطس وزيادة المقادير التي سبق التعاقد عليها من البيض إلى ستمائة في الأسبوع ، حتى اضطرت الدجاجات إلى إجهاد قواها في ذلك العام لتحرص على المعدل المطلوب .

وعاد الخنازير إلى الجرية التي أنقصت في ديسمبر فأنقصوها مرة أخرى في فبراير ، وإن ظلوا هم الناعمين بالرغد والترف ، المترهلين على الأيام من الراحة والشبع والرخاء .

وحدث في ذات أصيل أن هبت على أنوف الحيوانات من جانب غرفة « التخمير » القريبة من مطبخ الدار رائحة مغرية

مشبهة دافئة زكية لا عهد لهم بمثلها .

قال قائل منهم إنها رائحة شعير مطبوخ .

ووقفوا يستافون الهواء من الجوع ليستمتعوا بشميم هذه النكهة العجيبة ، مؤملين أن يوافيهم على العشاء طعام دائم شهي مثلها . ولكنهم لم يظفروا بما كانوا مرتجيه .

وأذيع بعد أيام أن محصول الشعير كله سيحتفظ به من الآن . وتبين أن الحقل المتراعى خلف البستان قد تم فعلاً حرثه ليزرع شعيراً .

وما لبثت الأنباء أن تسربت بأن كل خنزير أصبح يتلقى مع الطعام قدرًا يوميًا من « الجعة » ، وأن نابوليون أصاب أضعافه لنفسه ، وأن الجعة تقدم إليه على الطعام في القوارير .

ولكن بعض هذه المتاعب التي كان القوم يتحملونها ، وصنوف الإجحاف التي يعانونها ، لم تفسد عليهم كثيراً قيمة الحياة الجديدة التي كانوا يحيونها ، فقد حفلت بالأغاني ، وكثرت فيها الخطب ، وامتألت أيامها بالحفلات والمواكب ، وحشدت ألواناً من المظاهرات ، فقد أمر نابوليون بأن تقام في كل أسبوع حفلة تدعى « الحفلة الأسبوعية الدائمة » للاحتفال بالجهاد الوطني ، والنصر المعلم ، والأجناد الكريمة

الخالدة ، فلا يكاد يحل الموعد في كل أسبوع حتى يغادر الحيوانات أعمالهم وتنظمهم تشكيلات أشبه بالتشكيلات العسكرية ، فيطوفوا الأحياء مواكب حاشدة ، تتقدمها الخنازير وتتلوها الخيل ، فالبقر ، فالغنم ويأتى فى الساقة الدجاج .

وكانت الكلاب تصطف على حواشى المواكب ، ويسير فى الطليعة ديك نابوليون الصباح .

واعتاد بوكسر وكلوفر أن يمسكا بينهما بطرف علم أخضر عليه شعار الحافر والقرن ، وقد نقش على أديمه « ليحى الرفيق نابوليون » !

وفى هذه الحفلات كانت تتلى القصائد الرنانة فى مديح « الزعيم » والإشادة بأفضاله ، وينبرى « سكويلر » فيلقى خطاباً فياضاً ينوه فيه بما زاد من الإنتاج ، وما ربح من المحصول ، وما توافر من الخير العام .

وكثيراً ما كانت القذائف تطلق فى هذه الحفلات ، وكانت معاشر الأغنام أكثر القوم رضا بها ، وإقبالا عليها ، فإذا ما تصدى منهم فريق وهم بعيدون من موضع الخنازير فى الحقل وبمناى عن الكلاب ، لإظهار التبرم بها ، وإبداء التأفف من مدارها على الأسابيع ، قائلين إنها مضيعة للوقت وإلها متلفة

للحياة ، وإن القوم لا يحنون منها غير الوقوف بالساعات تحت
الظل ، أو مستهدفين للبرد ، بادر الغنم إلى إسكات هذه
الأصوات الشاكية بالهتاف المتعالى مع رغائبهم المألوف ، وهو
كل ذوات الأربع أختيار . . .

ولكن جمهرة الحيوانات كانت تجد متعة في تلك المواكب
والحفلات ، لما كانت توحى إليهم به ، من العزاء عن متاعهم
وسوء منقلبهم ، في الشعور بأنهم اليوم سادة أنفسهم ، ولم يعد
لأحد سلطان عليهم ، وأن هذا الجهد الشاق الذي يبذلونه هو
لخيرهم ونفعهم .

وهكذا لم يلبث القوم بتلك الأناشيد والمواكب والخطب
والبيانات الضافية ، والأعلام الخفاقة ، والرايات المنصوبة ،
إن تناسوا بطونهم الخاوية ، ولو إلى حين .

وفي شهر أبريل نودى في المزرعة « بالجمهورية » واقتضى
الأمر انتخاب « رئيس » .

ولم يكن للرياسة غير مرشح واحد ، وهو الرفيق نابوليون ،
فانتخب لها بالإجماع .

وفي يوم الانتخاب بالذات أذيع اكتشاف مستندات جديدة
تنطوى على أسرار ومعلومات أخرى تدل على اشتراك « سنوبول »

فى المؤامرة مع الأعداء ضد قومه .

وقيل إنه لم يحاول ، كما كان القوم يظنون ، إيقاع المزرعة فى الهزيمة يوم السقيفة ، بخدعة حربية ، فحسب ، بل كان فعلا يحارب فى صفوف العدو ، بل لقد كان هو الذى جاء بها وتولى قيادتها ، وحرصها على مقاتلة المزرعة كل التحريض ، وأن الجرح الذى أصاب ظهره ، ولا يزال بعضهم يذكره ، كان من أثر أسنان نابوليون وأنيابه التى مضى يغيبها فى لحمه .

وفى أواسط الصيف ظهر فجأة الغراب الأحم « موسى » بعد غيبة عدة سنين ، ولم تتغير أحواله ولا عدا عليه من الدهر عاد ، وما فقى المتبطل المتعطل لا يزال عملا ، ولا يشنى عن الكلام ، فى « الجنة » الموعودة ، وألفاف الشجر والنخيل وكان يرف بجناحيه على جذع شجرة خاوية ويقضى الساعات الطوال فى التحدث إلى سامعيه ، وهو يقول مشيراً بمنقاره المستطيل إلى السماء : « هنالك أيها الرفاق ، على الجانب الآخر من تلك السحب الوطفاء التى ترونها ، يمتد ذلك العالم الجميل السعيد ، الذى سنبجد فيه نحن معاشر الحيوانات البائسين العناية الراحنة الأبدية من الشقاء والعناء » .

ومضى مرة يقول غم إنه طالما تصور ذلك العالم الفسيح

الرغيد في خلواته ، وتخيل تلك الحياة السرمدية البديعة في
تحليقاته وسرحاته .

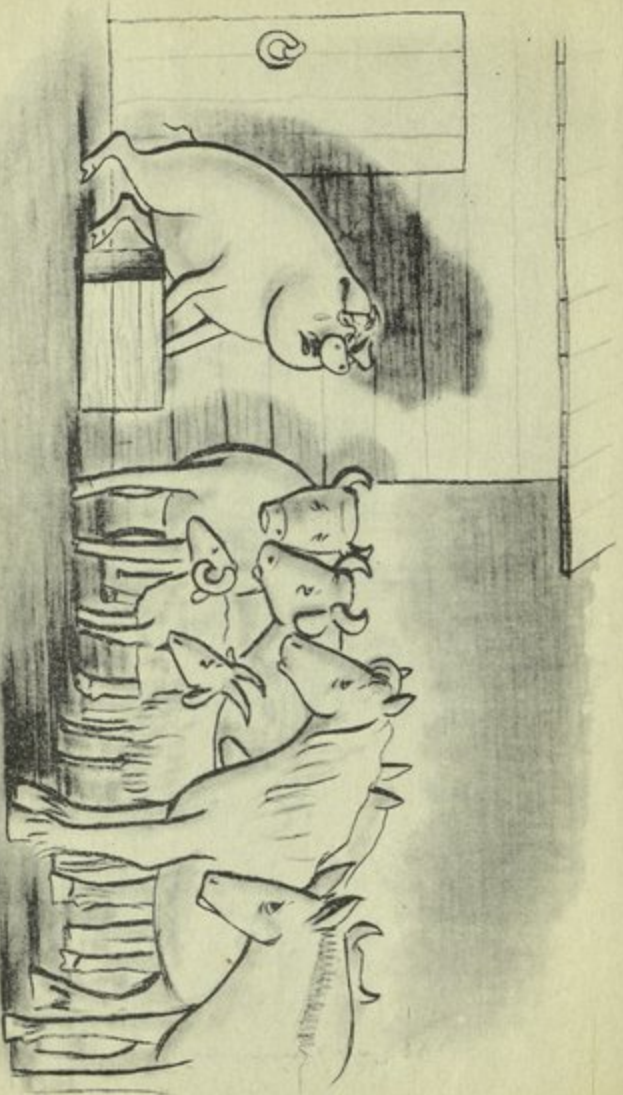
وكان خلق كثير بما يقول مصدقين مؤمنين .

فقد بدت الحياة لهم في المزرعة مليئة بكد وكدح ، فلا
عجب ، ولا كذب ، فيما يقوله عن حياة أخرى سعيدة ،
لا يجوعون فيها ولا يعرفون ، وقيام عالم أفضل وأهنا ينعمون فيه
أبدًا .

ولم يكن أحد في المزرعة يسخر منه غير معاشر الخنازير .
فقد راحوا يقولون إنه الكذاب الأشر ، والدجال الذي لا
ينبغي أن يستمع القوم إليه .

ولكنهم سمحوا له بالمقام في الأرض ، ولم يطردوه من المزرعة ،
وأتوه طعاماً بغير عمل .

وما إن شفى حافر « بوكسر » حتى عاد أشد من قبل جهداً
وأكثر كدحاً ، وكان القوم جميعاً يكدون في ذلك العام كد
العبيد ، فقد كان أمامهم ، بجانب عملهم اليومي المنظم المستمر
في المزرعة ، وإعادة بناء الطاحون ، تشييد مبنى المدرسة التي
يراد تخصيصها لتعليم صغار الخنازير ، الذي بدأ في شهر
مارس الماضي .



Somerville

« سكريلر يشرح العناية بالباغلة التي حفت بئوت الحصان (المجاهد) » ص ١٧٠



« نابوليون في حلة رسمية » ص ١٨٤

وكان طول الجهد بغير طعام كاف ، مشقة بالغة على « بوكسر » ومجهدة مضنية لقواه ، ولكنه لم يكن ليتردد أو يتخاذل ، ولم يكن يبدو في قوله أو عمله شيء يوحي بأن قواه قد تراخت ، وإن تغير مظهره ، هوناً ما ، فلم يعد أديمه براقاً ملتصعاً كما كان ، وبدا النحول على مؤخره وعجزه .

وكان القوم يقولون : « إن بوكسر سيسترد قواه إذا أقبل الربيع وطلع البرسيم .

ولكن موسم البرسيم حل ، ولم يسمن بوكسر أو يسترد ما فقد من وزنه .

وكان أحياناً وهو على المنحدر المؤدى إلى رأس المقلع يلتقى بكل ما بقى في عضلاته من قوة لينزحزح حجراً ضخماً من مكانه فلا يبقيه مستوياً على سوقه شيء غير قوة الاستمرار ، وحافز الإرادة .

وكانت شفتاه عندئذ تغمغان وتختلجان ، لترسم كلمته المعهودة « سأضعف الجهد » فلم يبق له من صوت يرتفع بقول ، أو يتجمع بكلام .

وعاد بنيامين وكلوفر يحذران وينصحانه بأن يرعى صحته ، لكنه لم يكن « أنه بالحذر » ، أو يحفل بالنصيحة ، فقد أوشك

أن يتم الثانية عشرة ، فلا يهمه شيء ما دام القادر على أن
يجمع من الحجارة قدراً طيباً لبناء الطاحون قبل تقاعده .
وفي ذات مساء ، وقد ألقى الصيف مراسيه ، سرى في
المزرعة. نبأ بأن حادثاً جرى لبوكسر .

وكان قد ذهب وحده ليجر حملاً من الأحجار من المقلع
إلى الطاحون ، ولم يرب إلى مربطه .

وبينما كان القوم يتسائلون أى خطب دهاه ، إذ أقبلت
حامتان تقولان إنه سقط فوق المنحدر وهو الساعة مستلق في
مكانه حيث سقط لا يستطيع نهوضاً .

وعلى النبأ المروع انطلقت خلق كثير يهرعون إلى الراية
فوجدوه قد سقط بين عريش العجلة ممدود العنق لا يستطيع
تحريك رأسه ، وقد استحالت عيناه كالزجاج والعرق يتصبب
من جبينه ، ونحيط من الدم ينزف من فمه .

فما إن شهدته كلوفر على تلك الحال حتى جثت بجانبه
وصاحت تقول : « بوكسر ! كيف حالك ؟ » .

قال مخافتاً : « صدرى . . . ولكن لا تحفلوا بي ، وأكبر
ظنى أنكم غداً قادرون على إنجاز بناء الطاحون دوني ، فقد
جمعت لكم مدخراً طيباً من الأحجار ، وكنت أحسبني سأجلد

على العمل شهراً آخر ، ثم يتحقق أملى فألتبس التقاعد وأستريح
وكننت أرجو أن يتم « بنيامين » مدته كذلك فيصبح لى فى
المعاش زميلاً ، ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه . . .
قالت كلوفر : « نريد معونة فى الحال لنحمله ، فليذهب

أحدكم إلى سكويلر ليحمل النبأ إليه . .

وانطلق كثيرون سراعاً ليؤافوا سكويلر به .

وبقيت كلوفر وحدها بجانبه .

وجاء بنيامين فرقد عن كتب ، وأنشأ يذود الذباب بذنبه عنه .

وبعد برهة جاء سكويلر بادی الرثاء والقلق ، فقال إن
الرفيق نابوليون تأثر أبلغ التأثير حين علم بهذا المصاب الذى
نزل بمجاهد من أصدق المجاهدين ، وأنه أخذ يعد العدة لإرساله
إلى المستشفى القائم فى البلد المجاور لمعالجته .

ولكن القوم ساورهم بعض القلق حين سمعوا هذا النبأ ، فلم
يسبق لأحد منهم الخروج من المزرعة إلى بلد غريب ، غير
« موللى » و«نوبول» ، ولم يرقهم أن يحمل رفيقهم المريض إلى
الخارج لعلاج .

ولكن سكويلر لم يجد غناء فى إقناعهم بأن الطبيب البيطرى
فى ذلك المستشفى يستطيع علاجه وهو القدير على برئه .

ومضى نصف ساعة أو نحوه فأخذ بوكسر يسترد شيئاً من قواه ، ويقف على سوقه ، ويمشي متثاقلاً إلى مربطه ، حيث أعد بنيامين وكلوفر له فراشاً وثيراً من القش .

وليث بوكسر في مربطه يومين لا يغادره .

وكان معشر الخنازير قد أرسلوا زجاجة كبيرة مملأة بدواء أحمر اللون عثروا عليه في الدار ، فجعلت كلوفر تجرعه منه مرتين في اليوم بعد الطعام .

وفي المساء جعلت تجيء إلى مربطه تتحدث ملياً إليه ، وظل بنيامين يذود الذباب والحوام عنه بذنبه الطويل .

وكان بوكسر يقول لها إنه ليس على ما حدث بخيرين ولا هو بأسف ، فإن هو شفى ، فلعله عائش ثلاث سنين أخرى ، وناعم خلالها بأيام راحة في ركن من ذلك المرعى الذي أعد للمتقاعدین ، مستمتع لأول مرة بالفراغ ليدرس ويتعلم ويتعهد ذهنه وخطره بالتهذيب والتنوير .

ولم يتوات لصاحبيه ، بنيامين وكلوفر ، البقاء بجانبه إلا بعد ساعات العمل .

ففي اليوم الثالث ، جاءت مركبة من الضحى لتحمله إلى الخارج ، بينما كان القوم جميعاً يعملون في حقول الكرنب تحت

إشراف بعض الخنازير .

وبينما هم كذلك إذ أقبل « بنيامين » من جانب الدار
« مبرطعاً » ناهقاً أشد النهيق .

وبهت القوم لمشهده ونهيقه ، فقد كانت تلك أول مرة يرونه
فيها هائجاً على تلك الصورة ، متوثباً عادياً على ذلك النحو .
وما إن دنا منهم حتى صاح فيهم : « البدار . . . البدار .
إنهم آخذون بوكسر من المزرعة . . . »

ولم يكد القوم يسمعون النبأ حتى تركوا العمل غير عابئين
بالخنزير الذى يشرف عليهم وانطلقوا يعدون إلى المزرعة وهم
لا يلوون على شيء .

وإذا بهم يشهدون فى فناء الدار مركبة كبيرة مقفلة يجرها
حصانان ويجلس رجل تبدو عليه أمارات الخبث والمكر فى
مقعد السائق .

ووجدوا مربوط بوكسر خالياً منه . . .
فأحاطوا بالمركبة وهم يصيحون معاً : الوداع يا بوكسر . . .
الوداع !

ولكن بنيامين لم يلبث أن صرخ فيهم ، وهو يتوثب من
حوطهم ويضرب الأرض بحافره : « أيها الحمقى ، أيها البله ...

ألا ترون ما هو مكتوب على جنب المركبة . . . ؟
 - وفي الحال كف الحيوانات عن الصياح .
 وراح « موريل » يتهجى الكلام المكتوب .
 ولكن بنيامين أزاحه عن مكانه ، وأنشأ يقرأ وسط سكون
 رهيب .

عربة المذبح . . . !
 ودار بعينه إلى القوم فقال : « هل تعرفون ما معنى هذا
 الكلام . إنهم آخذوه إلى المسلخ . . !
 وعندئذ انبعثت من الحناجر صيحة دهشة خليطة بفرع .
 ولكن الحوذى القائم فوق مقعده ألهب الحصانين بسوطه
 فانطلقت المركبة مسرعة .

وتبعها الحيوانات وهم جميعاً يصرخون من قرونها .
 واستطاعت كلوفر أن تستبق الجميع لتدرك المركبة ولكنها
 كانت في طريقها مسرعة مارقة .

وحملت كلوفر على قواها فجعلت تعدو بأقصى سرعتها وهي
 تصيح : « بوكسر . . بوكسر . . . »
 وكأنما قد سمع الحصان صياحها فإذا بوجهه وغرته المترامية
 إلى أنفه يطلان من الكوة الصغيرة خلف المركبة .

ولمحتة كلوفر فصرخت منادية : « بوكسر ... بوكسر ... »
 أخرج إلينا ... عجل بالخروج ... إتهم آخذوك إلى المسلخ ؛
 وانطلق الحيوانات فى أثرها صائحين به : « أخرج إلينا...
 أخرج إلينا ... »

ولكن المركبة كانت ممعنة فى السير ، مبتعدة عن الطريق
 ولم يتأكد أحد هل أدرك « بوكسر » كلام كلوفر وفهم
 إلى أين المساق ؟ ...

ولكن وجهه لم يلبث لحظة حتى اختفى من الكوة ، وطرق
 الأسماع صوت حوافره وهو يضرب بها أرض المركبة ، ولعله
 كان يحاول الخروج منها جاهداً .
 وأسفاه على بوكسر !

لقد أتى عليه حين من الدهر كانت فيه الركلة الواحدة من
 إحدى سوقه كافية لتحطيم المركبة وفلق أخشابها فلقاً .
 ولكن لله هو !

لقد خذلته قواه فلم تمض لحظات حتى انقطعت مواقع
 حوافره داخل المركبة ، وسكنت نأمتة .

وانثنى الحيوانات من فرط اليأس يتوسلون إلى الحصانين
 اللذين يجران المركبة ، صائحين بهما : « أيها الرفيقان ... إنكما

سائقان بزميل لكما إلى الموت ، فلا تذهبا به .
ولكن الحصانين المغفلين لم يدركا ما هو واقع ، فنشرا
أذانهما في الفضاء وشددا المسير .
ولم يعد وجه بوكسر يلوح من الكوة .
وكان قد خطر لأحد الحيوانات أن يبادر إلى إغلاق البوابات
الخمس قبل أن تصل إليها المركبة .
ولكن الوقت كان قد فات ، ولم تمض لحظة حتى اجتازت
الأبواب ، ثم اختفت بالحجاب .
وكان ذلك آخر عهد القوم برفيقهم « بوكسر » المسكين .
وأذيع بعد ثلاثة أيام إنه مات في « شفخانة » البلدة المجاورة
برغم العناية البالغة بعلاجه ومحاولة إنقاذ حياته .
وجاء سكويبلر ليحمل النبا إلى الآخرين .
فقال إنه كان حاضراً ساعة منيته .
وانطلق يصف ذلك المشهد قائلاً : لقد كان منظرًا يهز النفس
هزاً ، ويحزن القلب أشد الحزن وما أحسبني رأيت في حياتي
مشهداً مثله في رهبته وإيلامه .
وراح يرفع إحدى قوائمه ليمسح دمعة تحيرت في مآقيه .
وانطلق يقول : لقد كنت بجانب فراشه وهو في سكرات الموت ،

وقبيل محضر المنون انعقد لسانه ، ولكنه حاول أن يتجمجم
 بقول فلم يستطع إلا أن يهمس في أذني قائلا : إنه لا بأس في
 ترك الدنيا إلا على شيء واحد ، وهو أن يودعها قبل أن يتم بناء
 الطاحون ، فإلى الأمام أيها الرفاق ولا بتوا ولا تتخاذلوا باسم
 الثورة وعلى بركتها ، ولتحي مزرعة الحيوانات وليحي الرفيق
 نابوليون ، الذي لا يخطئ يوماً ولا يضل سواء السبيل .

وهز سكويلر رأسه مراراً وهو يقول : إى والله ، هذه كلماته
 قبيل الممات . . . !

وتغيرت سخنة سكويلر فجأة وأطرق لحظة ثم راحت عيناه
 ترسلان نظرات مريبة فيمن حوله وأنشأ يقول : إنه عرف أن
 إشاعة خبيثة راجت على أثر قتل بوكسر في المركبة ، وأن
 بعض الحيوانات لاحظوا أنه كان مكتوباً على ظاهرها أنها من
 مركبات المذبح فاستنتجوا اعتباطاً أن بوكسر مأخوذ إلى الذبح .
 وانطلق يهز رأسه أسفاً وعجباً وهو يقول : إنه ما كان يظن أن
 في الدنيا حقاً مثل هذا الحمق ، ولا سخفاً كهذا السخف .

واتخذ سمات الغضب وراح يهز ذنبه يمنة ويسرة قائلاً إنهم
 بلا ريب يعرفون زعيمهم نابوليون حق المعرفة ويكبرونه عن
 هذا الظن الأثيم الذى ظنوه به ، ولكن سر ذلك بسيط ،

وتفسيره هين ، فقد كانت المركبة فعلاً لأحد القصابين ،
فاشترها منه الطبيب البيطرى ، منذ عهد قريب ، فلم يتيسر
له نحو المكتوب على ظاهرها ومن هنا جاء الخطأ ، وخالج الشك
النفوس . . .

وسمع القوم مقالته فخف ما بهم واستراحوا إليه .
وما كاد سكويلر يمضى فى شرح التفاصيل ، ويعود إلى
وصف العناية البالغة التى حفت بموت الحصان « المجاهد »
والأدوية الغالية التى دفع الزعيم ثمنها غير حافل بفداحة النفقات
أو متردد فى الوفاء بحق المريض العزيز عليه حتى زالت نية الشك
التي كانت تخالجهم ، وخف الأسى البالغ عليه باعتقادهم
أنه مات على الأقل ميتة كريمة وقضى نحبه عزيزاً مكرماً . . .
وجاء نابوليون فى الاجتماع التالى يوم الأحد إلى الساحة
الكبرى ، فألقى مرثية فى تأبين الحصان الراحل ، والفقيه العزيز .
وقال إنه لم يتيسر نقل رفات الرفيق المأسوف عليه لدفنه
فى المزرعة ، ولكنه أصدر الأمر بوضع إكليل من الزهر والغار
فوق قبره ، وإن فى نية معاشر الخنازير إقامة حفل تأبين
بعد بضعة أيام لتقديس ذكرى البطل وتخليد الراحل الكريم .
وختم نابوليون رثاءه بتذكير السامعين بالكلمات المأثورة عن

الفقيد ، وهى قوله « سأضعف الجهد » و « نابوليون أبداً على حق » تلك الكلمات الخالدة التى يحسن بكل فرد فيهم أن يتخذها لنفسه شعاراً ، ويجعلها نبراساً له فى الحياة .

وفى اليوم الذى حدد لإقامة الحفل أعلن الخنازير أن الحفلة ستبعتها مأدبة .

وجاءت من البلد القريب فى صبيحة ذلك اليوم الموعود مركبة بدال ، تحمل صندوقاً خشبياً ضخماً فوقفت بباب الدار وحمل الصندوق إليها

وفى تلك الليلة طرقت أسماع الحيوانات من جانب البيت أصوات غناء وصخب ، ثم تلتها جلبة شجار ، ولم تسكن الضوضاء فى الدار إلا بعد موهن من الليل عقب تحطم الزجاج وتناثر شظايا الكؤوس والأباريق . . .

ولم يخرج أحد فى اليوم التالى إلا مع الضحى وشاع فى المزرعة أن الخنازير اشتروا بما اجتمع لديهم من المال قدراً وفيراً من الخمر ، ونعموا بليلة شراب وقصف . . . وعريدة !

- ١٠ -

ومضت أعوام

وتعاقبت المواسم والفصول

وتقدمت بالحيوانات السنون .

وأتى على المزرعة حين من الدهر لم يبق فيها أحد يذكر
الأيام التي سبقت عهد الثورة ، غير كلوفر ، وبنيامين ،
والغراب الأستخم موسى ، وطائفة من الخنازير .

ومات موريل ، وذهبت بلوبل وجيسى وبنسر في الهالكين
وقضى السيد جونز أيضاً نجه ، في مصحة للمدمنين بموضع
سحيق .

وأصبح « سنوبول » نسياً منسياً ، وسحب الدهر على ذكره
أذيال العفاء .

ولم يعد في القوم من يذكر المجاهد « بوكسر » إلا قليل .
ولم تعد « كلوفر » كما عهدنا ، والدهر فقي ، والحياة
ناصرة ، بل أمست فرساً ضخمة مترهلة عجوزاً متخاذلة
السوق دامعة العينين من الضعف وتقدم العمر

وكانت قد تجاوزت سن الاعتزال بعامين ، ولكن الواقع أن أحداً من القوم لم يحل إلى المعاش ، ولا ترك الذين تقدمت بهم الأعمار ليخلدوا إلى الراحة ، ويستمتعوا بالتقاعد ، قبل الممات .

ونسي الناس ما كان يقال عن تخصيص مكان للمتقاعدين حتى يقضوا البقية الباقية من أيامهم في راحة وسكون ، فلم يبق لهذه الفكرة من أثر ، ولا عاد أحد إلى حديثها في يوم من الأيام . وبدا نابوليون يومئذ حلوفاً ضحماً يمشى وثيداً ويسير بخطى ثقالة .

وأصبح « سكوير » من فرط السمن بحيث لا تكاد عيناه تبدوان من وجهه المنتفخ ، وخصته المتورمة . ولم تتعد الدنيا على بنيامين ، فضل الأوحى الذى لم يتغير ، ولم يتبدل ، وإن علا المشيب خطامه ، واشتد بعد ممات « بوكسر » صمته وإطراقه وتبرمه بالعالم والحياة . وكثرت الحيوانات وازداد السكان ، وإن لم تكن الزيادة كبيرة إلى الحد الذى كان منتظراً في السنين الأولى من العهد الجديد .

وقد خرج إلى الدنيا نشء لم يعرفوا الثورة إلا سماعاً ، ولم

يتلقوا قصتها إلا من أفواه المخضرمين والقدامى ، وآخرون طرأوا على المزرعة ولم يسمعو من قبل مقدمهم بها .

وأصبحت فى المزرعة ثلاثة خيول بجانب كلوفر ، وهم عمال مجتهدون ورفاق صالحون ولكنهم حقق ضعاف الإدراك ، فلم يستطع واحد فيهم أن يتعلم أكثر من الألف والباء ، وصدقوا كل ما قيل لهم عن الثورة ومبادئها ، مما كانت تقصه كلوفر عليهم ، وكانوا يحترمونها احترام الأولاد للأمهات ، وإن كان فهمهم لتلك التعاليم مشكوكاً فيه .

وكانت المزرعة قد نمت يومئذ وربت ، وامتدت فيها الحقول واتسقت المروج .

وحالفها التوفيق بعد مطال الزمن فأتمت بناء الطاحون ، وتوافرت لها آلة درس للقمح ، ومذراة للتبن ، وقامت فيها عدة أبنية ودور .

واشترى السمسار « ويمبر » لنفسه « دوكاراً » .

ولكن الطاحون لم يستخدم لتوفير القوى الكهربائية ، وإنما انتفعوا به فى طحن القمح فجاء بكسب وفير .

وأقبل القوم على إعداد طاحون آخر وهم يرجون أن يتمكنوا من تركيب المحركات ، إذا تم البناء .

ولكن لم يعد أحد يتحدث عن البناء وأوان الترف التي طالما وصفها لهم سنوبول وعلمهم كيف يخلمون بها ويرسلون أخيلتهم في أثرها .

لم يعد أحد يتحدث عن المذاود والمرابط المضاعة بالكهرباء ولا عن الماء يأتي ساخناً عند المشيئة ، أو يأتي بارداً صارداً في حر الصيف واشتداد الهجير .

وانقطع الحديث عن العمل ثلاثة أيام في الأسبوع ، والإراحة ثلاثة أخرى أو تزيد .

ومضى نابوليون يستنكر هذه الأحلام ، ويندد بتلك الأوهام ويقول إن التعاليم والمبادئ الجديدة منها براء .

وظفق يقول إن أصدق السعادة هي في الدأب والتقصص والقصد .

وبدا على المزرعة كأنها قد استحوالت إلى أرض غنية ، وإن لم تتيسر حال الحيوانات أنفسهم ولم يتحسن عيشهم ، خلا معاشر الخنازير والكلاب .

ولعل مرجع ذلك من بعض النواحي إلى كثرة الخنازير ، ووفرة الكلاب ، لا إلى فراغهم من العمل أو انصرافهم عن الجهد ، من حيث المزايا والمواهب والصفات . . . !

لقد كانوا يعملون ، ولم طريقتهم في العمل .
 أليس الإشراف عملاً ، ألا يتطلب التنظيم جهداً ؟ كذلك
 كان « سكويلر » يقول في الشرح ، ويحتج في البيان ، بل
 هذا نوع من العمل يجهله الآخرون ولا يصلحون لمثله .

وقد مضى سكويلر في شروحه يقول لهم إن معاصر الخنازير
 مثلاً ينفقون الساعات الطوال في كل يوم ، ويحملون على
 أنفسهم في العمل والدأب ، بسبيل شئون وتنظيمات وأعمال تحرير
 وتنظيم ، تدعى « الملفات » و « التقارير » و « المحاضر »
 و « المذكرات » .

وهي صفحات عدة من الأوراق تكتب وتملأ سطوراً ،
 وكلما سودت فلم يبق فيها موضع بياض أقيت في النار لتذهب
 طعمة لها ، وقذف بها في الأتون لتعدم ولا يبقى لها من أثر ،
 لأن ذلك في مصلحة المزرعة ، وخيرها العام
 هكذا كان سكويلر يقول لهم بمنطقه العجيب ، وبيانه
 الخلاب ...

ولم يكن أحد من معاصر الخنازير وأشياعهم معاصر الكلاب
 ينتج طعاماً بعمله ، أو يبذل جهداً في سبيل الغذاء وهم كثرة
 وافرة ، وشهوتهم إلى الطعام حادة ، وبطونهم تسأل هل من مزيد ...

جميع الحيوانات سواسية
ولكن بعضها
أكثر مساواة من الأخرى





« نابوليون ... (أيها السادة لشرب جميعا نخب مزرعة الذوات) » ص ١٩٠

أما الآخرون فقد ظل عيشهم كعهده أبداً ، من الجوع ، والنوم على القش ، والشرب من التربة ، والكدح في الحقل . ومقاساة البرد القارس في الشتاء ولذعات الهوام والحشرات إذا حل الصيف .

وقد تأتى أحياناً لحظات على بعضهم ، وهم الأشياخ والمتقدمون في الأسنان ، يحاولون فيها كد ذاكرتهم ، ليعرفوا هل كان العيش أفضل من ذلك ، أم أسوأ ، إبان الثورة ، وقيام العهد الجديد ، فلا يذكرون من ذلك شيئاً ، ولا تستجيب حافظاتهم الضعيفة لشيء ، ولا يجدون ما يسعفهم على المقارنة بين الأمس واليوم ، فلا يسعفهم غير الإصغاء إلى أرقام سكويبل وإحصاءاته ، وهى بلا شك تبين أن العيش اليوم أفضل وأنضر ، والحياة الحاضرة أحسن منقلباً ، وأطيب مرتفعاً .

ولكن معاشر الحيوانات وجدوا هذا الأمر مشكلة مستعصية ومسألة لا سبيل فيها إلى وجه اليقين .

ولم تكن لديهم فسحة من الوقت ليتفكروا فيه ، أو يتحروا الحقائق ، وهم الكادحون المكدودون ، إلا « بنيامين » العجوز فقد صارحهم بأنه لا يزال لدقائق الماضي وأحداثه ذاكرة ، وأن الحياة كما كانت بالأمس ، فلم تتحسن ، ولم تزد سوءاً ، (١٢)

وإنما مضت كشأنها جوعاً ، وسغباً ، وشقوة وعناء ، وخيبة رجاء . . .

ولكن الحيوانات مع ذلك كله لم تياس ، ولا فقدت لحظة واحدة الشعور بالعزة والفخر بانتسابها إلى المزرعة ، وهي البلد الأوحى في العالم الذى تملكه الحيوانات وتحكمه وتدبر شئونه ، ولم يكن أحد منهم حتى الأحداث فيهم والطارئين من القرى البعيدة يكف عن الشعور بهذا الاعتزاز ، وكلما أطلقت القذيفة ، وشوهد العلم الخفاق فوق السارية ، سرت العزة في النفوس ، واستفاضت الأحاديث عن الأيام الخالية ، وعهود البطولة ، ومجد الثورة ، وظهور الوصايا السبع ، ونشوب المعارك الحامية في سبيل الخلاص من الطغاة والمستأثرين .

وبقيت الأحلام والأمانى القديمة تخالج الصدور ، وظلت « الجمهورية » التى كان الحلوفا الأكبر يتحدث عنها ، أملاً مداعباً للخواطر والأذهان .

تلك الجمهورية « المثالية » ذات المروج النضر التى لا أثر فيها لطاغية ولا مستثمر مستغل .

إنها بلا ريب آتية . . فى يوم ما ، وقد لا يكون قريباً ، وقد لا تتحقق فى حياة الأحياء منهم والمعمرين ، ولكنها آتية

على الدهر ما في ذلك من شك .

بل إن ذلك النشيد القوي الذي وضع بعد الثورة ظل في
خفية يغمغم به أحياناً ، وتخافت الأصوات بأنغامه .
لقد كان كل فرد في المزرعة به عليا ، وإن لم يجرؤ على
التغنى صراحة به ، أو يرفع الصوت بلحنه الفريد .

وقد يكون العيش قاسياً ، وفي النفس حاجات لا تزال
معلقة ، لم يتحقق منها شيء ، ولكنهم كانوا جميعاً يشعرون
بأنهم ليسوا والحيوانات الأخرى سواسية ، فإن جاعوا ، فليس
جوعهم من طغيان طغاة ، ولا أثر من استبداد مستبدين ،
ولكنه جوع من قلة المحصول ، أو نقص في الثمرات والغلات
والإنتاج . وإن هم كدوا وكدحوا ، فإن كدحهم لأنفسهم ،
وهم في الكد أحرار ليس لأحد عليهم سلطان ، وما في جمعهم
مخلوق يمشى على اثنتين ، ولا فرد يدعو أحداً « السيد » أو
يدين له بالخضوع ، بل هم جميعاً سواء لا عبد ولا سيد ، ولا
رقيق ولا مولى ، ولكنهم أحرار بغير استثناء . . .

وفي ذات يوم ، إبان مقدم الصيف ، أمر « سكويرلر »
الغنم بأن يتبعوه ، وذهب يقودهم إلى قطعة أرض قفر في أقصى
طرف من المزرعة ، هاش فيها الشجر واستغلظ ، فقضى

الغنم طيلة النهار يلقفون بأفواههم الأوراق ويعرون الغصون منها تحت عين سكويلر ورقابته .

ولما أقبل المساء عاد إلى المزرعة وحده ، وطلب إلى الغنم البقاء ، بذلك الموضع ، لأن الحر شديد ، والقيظ يوجب المقام .
وانتهى الأمر ببقائهم في تلك الأرض أسبوعاً كاملاً ، لم ير الحيوانات الأخرى منهم أحداً خلاله ، وإن لبث سكويلر معهم أكثر النهار وجل ساعاته ، قائلاً لهم إنه يريد أن يعلمهم التغنى بنشيد جديد يقتضى أن يأخذوه سرّاً عنه ، ويتدربوا خفية على إنشاده .

وعاد الغنم إلى المزرعة في ذات مساء رائق النسيم ، وقت أن كان الحيوانات عائدين من العمل ، وإذا بهم يسمعون صهيلاً يرتفع من جانب « الدار » فبهتوا له ، ووقفوا عن المسير لينصتوا مرة أخرى إليه .

وإذا بهم يدركون أنه صهيل . . . كلوفر !
فلم يلبثوا أن أسرعوا خبيئاً إلى الموضع .
وعندئذ رأوا ما رأيته . . . رأوا خنزيراً يمشى على ساقيه الخلفيتين مستوى القامة كالإنسان . . . !
وكان ذلك الخنزير هو . . . سكويلر بالذات . . .

وكان مضطرباً في مشيته ، لأنه لم يكن قد ألف بعد الاعتماد على ساقيه الخلفيتين في حمل بدنه المترهل الضخم وإن توازن عليهما ، وزاح يجتاز الفناء .

ولم تمض لحظة أخرى حتى لحوا صفّاً مستطيلاً من الخنازير يخرجون من الدار قياماً على سوقهم الخلفية ، وهم متفاوتون في المقدرة على المسير بهذه الصورة والاستواء على هذه الحال ، وفيهم فريق اضطربت مشيته ، ولم يستكمل توازنه ، كأنما يحتاج إلى عصا يستند إليها ، وإن مضوا جميعاً يدورون حول الفناء في . . . « طابور » !

وتلا هذا العرض العجيب نباح يملأ الفضاء ، وصيحات من الديك الأسود ، ولم يلبث أن خرج نابوليون نفسه مستوياً في جلال على ساقيه ، ملقياً نظرات ملؤها الكبرياء من حواليه ، والكلاب تتوثب حافة به .

وكان يحمل في إحدى ساقيه الأماميتين سوطاً .
وساد سكون رهيب . . .

ووقف الحيوانات مبهوتين ، مروعين ، متلاصقين ، ينظرون إلى ذلك الصف المستطيل من الخنازير وهم يطوفون الفناء .
لقد خيل للقوم أن الدنيا انقلبت رأساً على عقب .

ولكن ما كادت لحظة الدهشة تنقضي ، حتى هموا بإرسال
 صيحات احتجاج ، برغم خوفهم من الكلاب الضارية ، وبرغم
 العادة المستمكنة منهم على مطال السنين ، عادة الرضا والخضوع ،
 والامتناع عن الشكاة ، والانصراف عن النقد أو الاعتراض .
 ولكن الأغنام في تلك اللحظة بالذات لم تلبث أن رفعت
 أصواتها جملة واحدة ، كأنما أعطيت إشارة ما ، وراحت
 تردد في نغمة منظمة : « كل ذوات الأربع أخيار ، وذوات
 الاثنتين أفضل . . . »

ومضوا يكررون هذا اللحن الرتيب طويلا ، وما إن هدأت
 منهم الأصوات ، حتى كانت الفرصة قد ضاعت على القوم
 فلم يتوات لهم الاحتجاج ، إذ رأوا الخنازير تنكفي راجعة
 إلى الدار كما أتت .

وأحس بنيامين عندئذ أنفاً يلمس كتفه ، فدار بعينه ليرى
 لمن الأنف الذي لمسه .

وكانت كلوفر هي التي أرادت أن تنبهه من ذهله ، وقد
 بدت عيناها كليتين بل أشد من قبل كاللا ، وإذا بها
 تتناول معرفته برفق وتقتاده في صمت إلى « الجرن » حيث علقت
 الوصايا السبع .

ووقفنا لحظة ينظران إلى الجدار القائم حيالهما والكلام المكتوب
فوقه .

وخرجت « كلوفر » أخيراً عن صمتها ، فأنشأت تقول إن
بصرى قد كملَّ ، وقد كنت في ريعان عمري لا أستطيع قراءة
ما هو مكتوب على الجدار فكيف بي اليوم وقد تقدمت السن
بي ، ولكن يخيل لي أنه ليس كما كنت أعهد ، فانظر
يا أخى بنيامين هل الوصايا السبع باقيات على عهدا . . . ؟
ولأول مرة خالف بنيامين القاعدة التي وضعها لنفسه ،
ففضى يقرأ عليها الكلام المكتوب على الجدار ، وإذا به لا يعدو
وصية واحدة ، تقول :

« جميع الحيوانات سواسية ولكن بعضها أكثر مساواة من الأخرى » ✓

ولم يكن غريباً بعد هذا أن يبدو معاشر الخنازير في اليوم
التالى وهم يشرفون على العمل في المزرعة حاملين في أيديهم
« سباطاً » ، ولا كان عجباً أن يتناعوا من الغداة جهازاً لاسلكياً
وعدة تليفون ، ويشتركوا في طائفة من الصحف والمجلات
العالمية ، ولا بدت غرابة في ظهور نابوليون ، وهو يمشى
ذهاباً وجيئة في منافس الحديقة وجليون التبغ في فمه ، ولا في

ارتداء الخنازير الثياب التي وجدوها في دواليب الدار وقطارها .
وبدا نابوليون نفسه في ثوب أسود ، وحلة رسمية .
ولم ينقض أسبوع حتى وقفت في الأصيل عدة مركبات
بباب الدار وتبين أن وفداً من الزراع في القرى المجاورة جاءوا
يستقلونها تلبية لدعوة وجهت إليهم ليتفقدوا المزرعة ويطوفوا
بأرجائها .

وقد أبدوا إعجابهم بما رأوا ، ولا سيما بالطاحون .
وكان الحيوانات يعملون عندئذ في تنمية حقول الكرنب من
الأعشاب والعيذان الهائشة ، وهم في نشاط ظاهر ، مطرقون
إلى الأرض لا يرفعون رؤسهم ، حائرون لا يدرون هل يخافون
من الخنازير أم هم من الناس أخوف . . . ؟
وفي تلك الليلة طرقت أسماعهم من جانب الدار جلبة شديدة
اختلطت فيها الضحكات بالأناشيد والأغاني ، فوجوا لما سمعوا
وانتابهم فضول غريب ، فطفقوا يتساءلون ماذا جرى حتى
أصبح الحيوانات لأول مرة بعد الثورة ، على قدم المساواة مع
خصوصهم السابقين .

وبدأ القوم جميعاً يتسللون في رفق إلى الحديقة .
ولكنهم عند الباب وقفوا مشفقين من التقدم .

وتشجعت عندئذ « كلوفر » فشئت في الطليعة مستبقة .
وعلى أطراف الأقدام دنوا من الدار ، ومضى الطوال منهم
يطلون على قاعة الطعام مشرئبي الأعناق .
هنالك حول المائدة المستطيلة جلس ستة زراع إلى مثلهم
من الخنازير الأكابر ، في حين احتل نابوليون مكان الصدارة من
الحفل ، وبدا الخنازير مستريحين في مقاعدهم ، كأئما قد
ألفوا الجلوس فيها من عهد بعيد .
وكان القوم قبل لحظة واحدة يلعبون الورق ، ويقامرون ،
ثم كفوا عن الميسر ، ليتعاطوا الشراب نخباً بينهم .
وطاف الغلمان عليهم بأباريق وقوارير .
ولم يفتن أحد منهم إلى وجود الحيوانات التي كانت واقفة
تطل من خارج النافذة وقد علتها الدهشة ، وسرى في معاملها
العجب .
ونفض السيد « بلكنجتون » ، رب زرعة « فوكسوود »
والكأس في يمينه .
واستأذن الحفل في إلقاء كلمة موجزة يحد لازماً عليه أن
يقولها قبل أن يشرب نخب الحاضرين .
وأنشأ يقول إنه من دواعي اغتباطه — واغتباط السادة

الحاضرين ، من غير شك - أن ينتهى عهد طويل من سوء التفاهم والريية المتبادلة ، فقد أتى حين من الدهر كان أصحاب هذه المزرعة الموقرون يُسنَظَرُ إليهم ، لا بعين الخصومة والعداء ، ولكن بعين التطير والريية ، من جانب جيرانهم المزارعين ، بعد أن جرت أحداث يؤسف لها ، وانتشرت روايات وأفكار وظنون لا محل لها ولا أساس ، بسبيل المبادئ التى يعتنقونها والتعاليم التى يحاولون بثها فى القرى الأخرى والدساكر المجاورة فقد شعر الزراع بأن قيام مزرعة يتولى الخنازير إدارتها ويشرفون على حكمها وتدير شئونها ، عمل شاذ ، وظاهرة غير مألوفة ، قد تحدث أثراً بالغاً فى المزارع التى تحيط بها ، وقد رأينا فريقاً كبيراً من الزراع يعتقدون اعتباطاً ، وبغير بحث ولا تحقيق ، أن الفوضى ضاربة فى هذه المزرعة أطنابها ، والإباحية مطلقة العنان والفساد عام فى كل مكان ، فلا غرو إذا اشتد فى نفوسهم القلق على قراهم ، واستولى الخوف عليهم ، من أثر انتشار عدوى هذه المبادئ والتعاليم ، إلى الحيوانات الأخرى لديهم ، وجهرة الدواب والأنعام .

ولكن هذه المخاوف قد زالت الآن وتبددت ، فقد زار هو وصحبه المزرعة ، وطافوا بأرجائها وعاینوا كل شبر فيها .

فإذا وجدوا . . . ؟ ؟

لقد وجدوا المزرعة تجري على أحدث الأساليب ، ويسودها أدق النظام ، وشاهدوا إدارة حازمة تصح أن تكون مثلاً نحتديه جميعاً في مزارعنا ، ونظاماً أولى بالاتباع في كل مكان .

وقال إنه يعتقد أنه لا يجافى الحقيقة إذا هو أعلن أن الطبقات الدنيا من الحيوانات في هذه المزرعة أكثر عملاً ، وأقل غذاء ، من إخوانهم في البلاد الأخرى ، وأنه هو وأصحابه الذين جاءوا وانتظمهم هذا الحفل البديع لاحظوا عدة أشياء وأنهم ينوون أن يدخلوها في الحال على نظامهم وأساليبهم في الإدارة والحكم والتوجيه .

وقال إنه لا يريد أن يختم خطابه قبل أن يؤكد مرة أخرى حسن العلاقات بينهم وبين المزرعة ، وطيب الصلات ، وإنه لا ينبغي بعد اليوم أن يقوم خلاف بين الخنازير والناس ، أو يقع اصطدام بين المصالح والأهداف ، فإن مشاكل الفريقين ومتاعبهما واحدة ، أليست مشكلة العمل والعمل عامة في كل بلد ، متشابهة في كل قطر ؟ !

وهنا ظهر على الخطيب أنه يهم بأن يرسل « نكتة » رائقة خطرت له ، ولكن الضحك استولى عليه فلم يستطع من شدته

النطق بها ، وإن كان قد تمهل لتهدأ قهقهته ، ويسترد رزائته فلم يلبث أن مضى يقول : وإذا كانت لديكم معاشر الخنازير مشكلة تواجهكم ، وأعني بها مشكلة الحيوانات الدنيا ، فلدينا نحن مشكلتنا أيضاً ، وهي مشكلة الطبقات الكادحة أو الأيدي العاملة .

فلم يكد القوم يسمعون هذه الكلمة حتى ضججوا ضاحكين واستلّ الخطيب يكرر التهينة لمعاشر الخنازير بهذا النظام البديع الذى أقاموه ، بتقليل « الجرايات » ، وزيادة ساعات العمل وانتفاء كل أثر للاتجاهات المتسخطة والعناصر المتبرمة المتدمرة من الحكم القائم فى البلاد .

وقال إنه الآن يطلب إلى السامعين الوقوف والإمساك بكؤوسهم المترعة ليشربوا نخب « المزرعة الفاضلة » . . . مزرعة الحيوانات .

ودوى الهتاف للخطيب تصفيقاً بالأكف ، وضرباً بالأقدام وبلغ من سرور نابوليون وابتهاجه أن غادر مجلسه ودار حول المائدة ليقرع كأسه بكأس « بلكنجتون » قبل اشتفافها . ولما هدأت عاصفة التصفيق انبرى نابوليون وكان لا يزال مستوياً على ساقيه المؤخرتين يقول إن لديه كلمة موجزة يريد أن يقولها .

وكانت خطبته كعادته وديدنه قصيرة وفي الصميم .
قال إنه أيضاً مغتبط بانقضاء عهد الريية وزوال سوء التفاهم ،
فقد مضت فترة من الزمن والإشاعات تشاع ، من طريق خصم
خبث ، وعدو سيئ الدخيلة ، بأن في تعاليمهم عنصراً هداماً ،
وثورة جامحة على المبادئ المقررة ، والتقاليد المرعية ، حتى
لقد اتهموا بأنهم يحاولون نشر الثورة ، وبذر بذور المبادئ
الهدامة في القرى والمزارع المجاورة ، ولكن ما أبعد هذا الاتهام
من الحق ؛ فإن كل ما يبغيه الآن ، وما كانوا ينشدونه فيما
مضى ، هو العيش في سلام وتعامل وتواصل مع جيرانهم ،
لأن هذه المزرعة التي يتشرف بحكمها وإدارة شئونها إنما تقوم
على أسس تعاونية ، وإن وثائق ملكيتها تحت يده ، وهي تثبت
أن أصحابها هم الخنازير دون شريك أو زميل .

وقال إنه يعتقد أن الريية القديمة لا يزال لها أثر في النفوس ،
وأن التعديلات التي تمت أخيراً في نظام المزرعة وأساليب إدارتها
من شأنها أن تزيد الناس ثقة بها وطمأنينة إليها . فقد كان
الحيوانات هنا قد جروا على عادة سخيفة ، وهي مناداتي
« بالرفيق » ! ولكن هذه العادة قد أبطلت ، وكانت هناك
أيضاً عادة أخرى لا أدرى من أين أتت ، وهي إقامة عرض

عام في صبيحة أيام الآحاد للسير قبالة « جمجمة » معلقة فوق عمود في الحديقة ، ولكن هذه العادة أيضاً ستلغى فلا يبقى لها من أثر في النظام الجديد ، وقد عمدنا إلى تلك الجمجمة قدفناها تحت أطباق الثرى ليسحب النسيان عليها ذيل العفاء ؛ ولعل الأضياف قد لاحظوا كذلك العلم الأخضر المنصوب فوق السارية ، ولعلمهم فطنوا أيضاً إلى ما عراه من التغيير فقد محى الشعار الذي كان قديماً منقوشاً عليه ، وهو « الحافر والقرن » ليكون العلم أخضر « سادة » من الآن .

ومضى يقول إن لديه نقاداً واحداً على ما جاء في الخطاب الرائع البديع الذي ألقاه ضيفه الكريم ، فقد ظل في خطبته يتحدث عن المزرعة بقوله « مزرعة الحيوانات » ، ولكن أكبر الظن أنه لم يدر أن هذا الاسم قد ألغى كذلك ، وأن المزرعة سيطلق عليها من الآن « مزرعة الذوات » وهو اسمها الأصيل الصحيح .

وختم نابوليون خطابه قائلاً : « أيها السادة .. سأشرب نخبكم ، ولكن على طريقتي ، املاؤا الكؤوس إلى حفافيتها ولنشرب جميعاً نخب « مزرعة الذوات » !

ودوى الهتاف كما دوى من قبل أو أشد .

واجترعت الكؤوس حتى الثمالة .

ووقف معاشر الحيوانات خارج الدار ينظرون الى هذا المشهد
مبهوتين كأنما خيل إليهم أن حدثاً غريباً قد وقع ، وخطباً رهيباً
قد جرى ، وهم يتساءلون ماذا غير سخنات الخنازير وبدل
وجوههم إلى هذا الحد . . . ؟

وليثت عينا « كلوفر » الكليلتان تنتقلان من وجه إلى
آخر ، وتطوفان بالسحنات التي تراءت لهما ، وهى فى عجب مما تريان .
لقد بدت الوجوه منكرة ، بعضها قد ركبت فيه خمسة
ذقون ، وأخرى تلوح بأربعة ، وغيرها تبدو بثلاثة .
فما الذى غيرها هذا التغيير ، وأحالتها إلى هذه الصور
الغرائب . . . ؟

ولم يكد الهتاف ينتهى حتى عاد الندامى إلى الميسر والشرب
وكانوا من قبل ماضين فيه .

وتسلل الحيوانات فى رفق منصرفين .

ولكن ما إن ساروا غير بعيد حتى وقفوا عن المسير .

فقد تعالت من الدار ضجة بالغة جعلتهم يعدون سراعاً .
إلى الموضع الذى كانوا وقوفاً فيه ، وراحوا يطلون على القوم
من وراء النافذة .

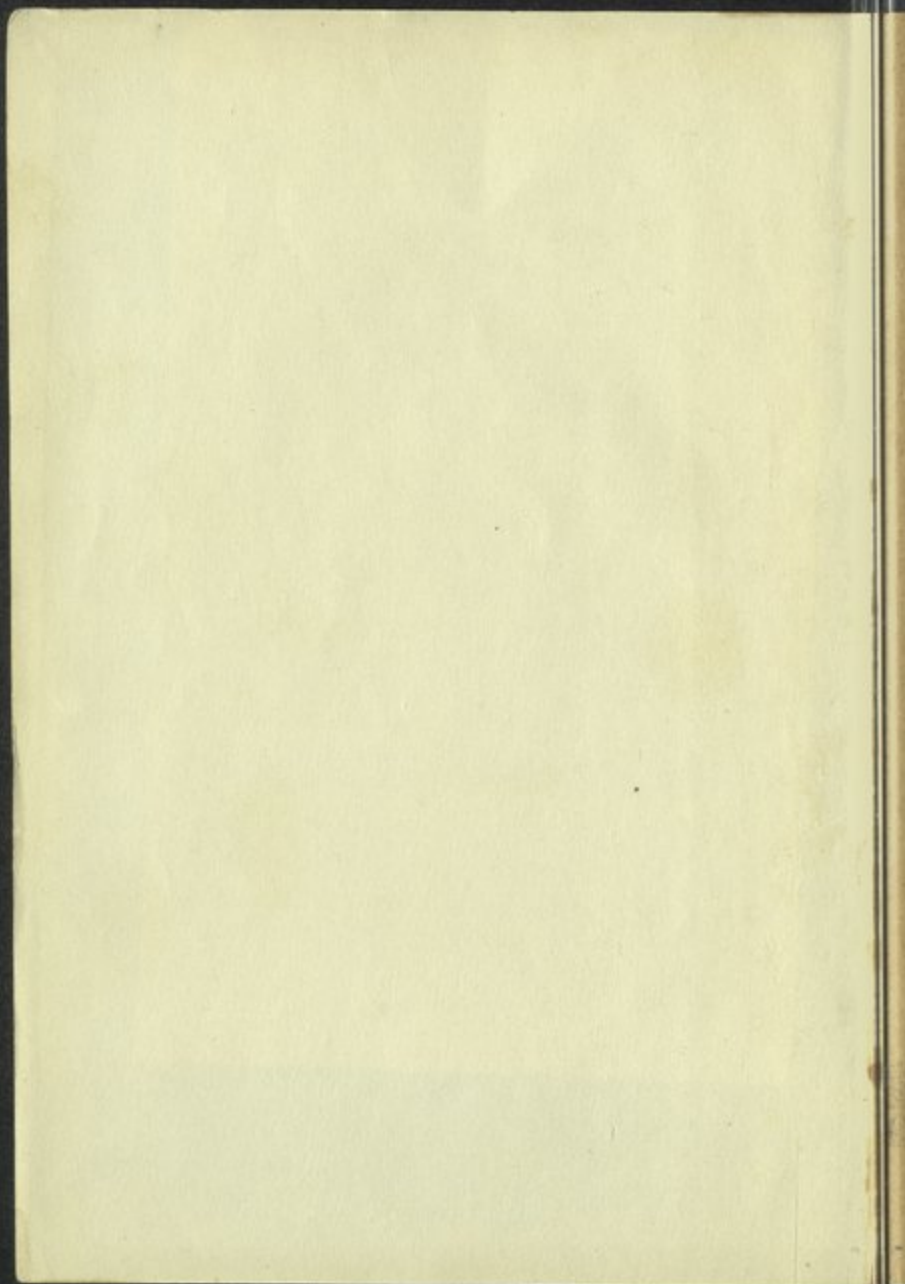
وإذا بهم يشهدون شجاراً عنيفاً فى القاعة ومعركة حامية ،
 وهم يصرخون ويضربون المائدة بجمع أيديهم ، ويتبادلون النظرات
 المريية ، والصياح المنكر ، وكل فريق للآخر مكذب ما يقول .
 وتبين من الأصوات المختلطة ، والصيحات المدوية ، أن
 نابوليون والسيد بلكنجتون اختلفا على « الآس » أيهما كان أولى
 بالقائه من صاحبه .

لقد ارتفع اثنا عشر صوتاً فى غضب محترم ، وحنق بالغ .
 ولم يعد مستدقاً على أفهام الحيوانات التى وقفت ترى هذا
 المشهد ، سر هذه السحنات المتغيرة ، وباعث هذا التبدل
 العجيب فى الوجهه .

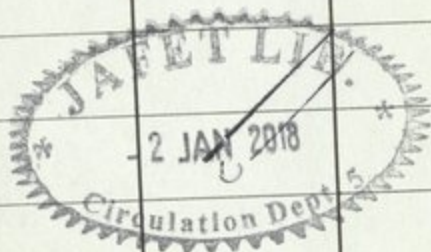
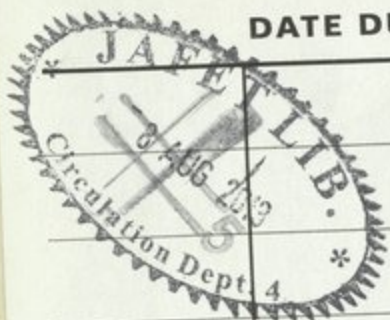
لقد تشابه الخنازير والناس ، ولم يبق من فارق بين الطغاة
 الجدد ، والطغاة الغابرين .

كلهم مستثمر ، وكلهم مستغل ، تجمعهم صفة واحدة ،
 وهى الاستئثار والطغيان .

وكذلك وقف الحيوانات ينظرون إلى الخنازير ، ثم يعودون
 فينظرون إلى الآخرين ، وهم لا يعرفون من هم الخنازير فيهم
 ومن هم معاشر الخصوم السالفين . . .



DATE DUE



823:O79A:c.1

حافظ ، عباس

اسطورة الحيوانات الثائرة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01031940



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

